٢٢

شباب محمد صلى الله عليه وسلم

المشكلة الاقتصادية

في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

دكتور رؤوف شلبي

دار الاعتصام

شباب محمد صلى الله عليه وسلم
رسائل الدعوة

المشكلة الاقتصادية

في ضوء تعاليم الإسلام الحنيف

د. رءوف شلبي

دار الاعتصام



الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين ، والصلاة والسلام على نبيه المرسلين ، وعلى آله وصحبه اجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .. أما بعـــد ..

ففى يوم الاربعاء ١٦ جمادى الأولى [illegible] ابريل ١٩٨٠ ، عقدت كلية التجارة بجامعة الازهر ((ندوة الاقتصاد الاسلامى)) [illegible] والحسابات العلمية [illegible] بقاعة الشيخ محمد عبده فى جلستين : الجلسة الأولى فى الصباح برئاسة الدكتور [illegible] رئيس [illegible] البحوث الآتية [illegible]

[illegible] الاسلام

الحنيف للأستاذ الدكتور رءوف شلبى عميد كلية اصول الدين بالمنصورة .

٢ ـ الشخصية المعنوية للشركات فى الفقه الاسلامى للدكتور السيد على السيد .

٣ ـ نظرية التراكم الرأسمالى فى الاقتصاد الاسـلامى ـ دراسة مقارنة مع نظريات التراكم فى الاقتصاد الوضعى ـ للدكتور رفعت العوضى .

٤ ـ الزكاة كوسيلة لتمويل المشروعات ـ للدكتورين محمد أحمد الرزاز ومحمد نور .

٥ ـ مشكلة تمويل التنمية فى العالم العربى على ضوء المنهج الاسلامى ـ للدكتور يوسف ابراهيم .

وانعقدت الجلسة المسائية برئاسة الدكتور سعد الدين عشماوى وكيل الكلية ، والمقررين الدكتور أحمد عبده استاذ الاقتصاد المساعد بالكلية والدكتور محمد رافت عثمان الاستاذ بكلية الشريعة . وفى هذه الجلسة ألقيت البحوث الآتية :

١ ـ مقارنة بين اسس وقواعد الفكر المالى الحديث

وأسس وقواعد الفكر الاسلامى — للدكتور عبد الجليل هويدى .

٣ — الصيغ البديلة للتمويل فى الفكر الاسلامى وأثرها على التنظيم الداخلى للمشروعات واتخاذ القرارات الادارية — للسيد محمد جاهين .

وقد انتهت الندوة الى عدة قرارات وتوصيات منها :

أولا : اكد المؤتمر أن سبب المشكلة الاقتصادية هو البطالة ، والانحرافات الأخلاقية والمالية والتعامل بالربا .

ثانيا : الحل الصحيح لمشاكلنا هو ((العمل)) الذى يشمل الارض والبحار والانهار والزرع والضرع .

ثالثا : يجب الاستقامة على شرع الله ، والتزام الجوانب الأخلاقية والمادية والنفسية والوجدانية .

رابعا : ضرورة استخدام الموارد الاسلامية الطبيعية والاستراتيجية والبشرية لخدمة الاسلام .

خامسا : الزكاة فريضة واجبة ، ووسيلة من وسائل التمويل .. تساهم فى محاربة الاكتناز والانفاق على المصارف الاجتماعية التى تعيد توزيع الدخول والثروات ، وتدعم الدورة

[illegible] وتحقيق [illegible] والانتاج
وتنقل الفقراء والمساكين الى مستوى أفضل .

[illegible] التمويل الخارجية للمشروعات الاقتصادية تتمثل في التمويل عن طريق المشاركة في رأس المال والعمل والائتمان التجاري والمصارف الاسلامية ، في اطار نظام المضاربة وبيت المال من فائض حصيلة زكاة المال ، وفائض الموارد المالية الاخرى .

سابعا : [illegible]
والاستفادة من الفكر الاسلامي القائم على القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، والنظريات والنظم التي تنظم استثمار المال وتمويل المشروعات الاقتصادية .. بما يحفظ لفكرنا الاسلامي ذاتيته واستقلاليته [illegible] عوامل النجاح والقدرة على كافة المشاكل والمصاعب التي تواجهنا [illegible]

ثامنا : تخصيص يوم في كل سنة يسمى ((يوم الاقتصاد الاسلامي)) تلقى فيه [illegible]
من بحوث اسلامية .

[illegible]
[illegible]

[illegible] اللغات الحية حتى يستفيد العالم بما فى الاسلام من نظم اقتصادية ، قامت على مبادىء قويمة ، وقواعد فطرية سليمة .

ولما كانت المشكلة الاقتصادية ، من أهم المشاكل التى يعانى منها المجتمع الاسلامى ، ويبحث الناس عن حلول لها .. فقد اخترنا أن نقدم للقراء هذا البحث القيم (المشكلة الاقتصادية فى ضوء تعاليم الاسلام الحنيف) الذى ألقاه الاستاذ الدكتور يوسف [illegible] فى الندوة [illegible] .. وقد تناول فيه الموضوعات الهامة التى تتصل بالبحث وهى أنه

١ ــ المذاهب الاقتصادية الوضعية الكبرى .. الرأسمالية والاشتراكية .

٢ ــ مفهوم المشكلة الاقتصادية عند علماء الاقتصاد .

٣ ــ الاسلام والمقومات الاقتصادية .

[illegible] المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام وحلولها .

٥ ــ نتائج لا مبرر لها :

(أ) التبعية للايديولوجيات الاقتصادية كحل المشكلة الاقتصادية .

(ب) تحديد النســل .

٦ ــ الامكانات العربية فى مواجهة التحدى الخارجى .

ونلاحظ فى هذا البحث القيم ، ان كاتبه قد اراد به ان يواجه مشكلة من اخطر المشاكل التى نواجهها فى هذا العصر ، الا وهى المشكلة الاقتصادية ، ووضع تصوره الاسلامى فى حل هذه المشكلة .. وبذل فى هذا البحث قصارى جهده ، ابتغاء وجه الله ، وخدمة لدينه ووطنه والعلم ..

جزى الله الدكتور رءوف شلبى كل خير ، ونرجو ان ينتفع بهذا البحث كل داعية ، وكل مصلح ينشد الحـلول الاسلامية لمشاكلنا الاقتصادية .

محمد عطيه خميس
رئيس شـباب
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

مقدمة

لو أرادوا الإصلاح

(ولو أن أهل القرى آمنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما
كانوا يكسبون) .

الاعراف ٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . .

وبعـــــــد

ان الاسلام منهج حياة أوحاه الله الى نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ينظم للناس حياتهم على شريعته ، ويمشون فى درب الحياة على نوره وهديه ، ويعمرون هذه الأرض باستخدام النعم التى لا تحصى ولا تعد .

« وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم »
(النحل ١٨)

« وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار »

(ابراهيم ٣٤)

والاسلام هو الدين الوحيد الذى يربط الانسان بالكون ، ويربطه بالآخرة ويجعل المسلم فى الدنيا مشتاقا الى الآخرة ،

ان قام نشاطه على هديه وأنواره ، وجعله هباء منثورا لا وزن له يوم القيامة ان ضل سعيه فى الحياة الدنيا .

ولقد قدم الاسلام لبنى البشر طرا مناهج حياتهم :

* الفــردية .

* الأسرية .

* الاجتمــاعية .

* والاقتصادية .

* والعسكرية .

* والسياسية .

وللاسلام ذاتيته فى هذه المذهج ، سواء اتفقت معه المناهج الاخرى او اختلفت ، فان امتياز المناهج الاسلامية ، انها تكفل السعادة للبشرية وتخاطب فيها الفطرة ، وتتمشى مع واقعها ، وتأخذ بيدها عند العثرة ، بالهدهدة واللين واليسر

والمذهب الاقتصادى الاسلامى لا ينفك عن هذه الخاصية

فهو يلتزم مع بقية المناهج الاسلامية بسمات الاسلام العامة . انه منهج يقوم على العقيدة كسائر مناهج الحياة التى شرعها الله لعباده .

وهو منهج يقوم على الأناة والتؤدة .

وهو منهج يقوم على الواقعية والتوازن .

والاسلام لا يدعى أنه يقدم علما للاقتصاد ، فالمسلمون ليسوا فى حاجة الى علم اقتصاد ، وانما هم فى حاجة الى ضابط اقتصادى يسيرون على هديه .

ولقد صنع الاسلام لهم ضابطا هو « المذهب الاقتصادى الاسلامى » الذى يقوم على :

(أ) الملكية وحرية الانتاج .

(ب) تسخير الله وسائل الانتاج للبشرية .

(جـ) قوانين الانفاق والتصدق .

(د) العدالة الاجتماعية .

(هـ) التـداول .

وهذه النظرية ليست حكومية بل هى منهج للامة والشعب . لان التنمية تحتاج الى جميع جهود الامة كلها . وجهود الحكومة وحدها لا تكفى ، بل هى جهود عاجزة ، ولذا فان الاسلام يجيش جهود الامة الاسلامية كلها لتتضافر على العمل والانتاج . وقد دعا القرآن الكريم جماعة المسلمين الى العمل : ((**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**)) . (التوبة ١٠٥)

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه بذل الجهد للحصول على الرزق الحلال .

● فجاءه يوما رجل يسأل فقال له ((خذ حبلك على ظهرك واحتطب)) .

● وجاءه رجل آخر يسأل فسأله النبى صلى الله عليه وسلم ((ما عندك من الامتعة)) ؟ فقال حب وحصير . فباعها النبى صلى الله عليه وسلم بدرهمين وقال له : خذ درهما انفقه على أهلك ، واشتر بالدرهم الثانى قادوما ثم اذهب الى الجبل لا أرينك خمسة عشر يوماً .

● ورأى النبى صلى الله عليه وسلم يد رجل عليها آثار العمل فقال : ((هذه يد لا تمسها النار)) .

فالتنمية في نظر الاسلام ليست مسئولية الحكومة وحدها وليست طاقة الحكومة بكافية فى تحقيق التنمية ، بل التنمية تحتاج الى تفاعل شامل من افراد المجتمع كله .

كما تحتاج الى خفض حجم الانفاق عن معدل الانتـــاج .

وهذا ما دعت اليه النظرية الاسلامية ((**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**)) .

(٦٧ الفرقان)

والذي نعانيه فى بلادنا العربية والاسلامية اليوم ، انما هو انحراف عن الطريق الجاد الصحيح .

(أ) فموارد الامة لم تستغل . فكم من ملايين الافدنة الصالحة للزراعة فى عالمنا العربي والاسلامي لما تستخدم حتى الآن !! ؟

(ب) والقوى العاملة التى تزج بخريجى الجامعات الى مكاتب الحكومة والقطاع العام في اعمال لا صلة لهم بما تعلموه فى الجامعة ، مما خلق جوا كئيبا فى الادارة ، عطل الانتـــاج وأفسد العلاقات الاجتماعية بين الناس .

(جـ) وتتحمل الحكومة وحدها عملية التنمية ، مما جعل الناس جميعا يقفون موقف المتفرج ، وينتظرون اغداق الخيرات

عليهم ، كاليتامى الذين ينتظرون حسنات الاغنياء .

(د) والتبذير الفاضح والاسراف الاهوج فى المظـــاهر الفضفاضة ، التى تضيع الانتاج فى الهواء .

(هـ) والتبعية الاقتصادية للايدلوجيات الاقتصادية ، التى تسعى لافساد اقتصادنا كأمة عربية واسلامية ، فرضت فى أذهان الناس عدم الثقة فى جدوى معالجة قضايا الاقتصاد ، وشكلت فى كثير من البرامج ، بالاضافة الى وجود طبقة داخل الجهاز الحكومى ، تستطيع ان تحصل على مال سحت بأسلوب او بآخر ، مما يشجع الشعب على التهاون فى المشاركة فى عملية التنمية .

ولو استخدم المنهج الاسلامى ، لاقالنا الله تبارك وتعالى من هذه العثرات ، ويفتح علينا بركات من السماء والارض كما وعد الذين يلجأون اليه ويحتمون في حماه .

ذلك لو أرادوا الاصلاح والعلاج .

ولقـــد آثرت أن يكون موضوع البحث عن المشـــكلة الاقتصادية لاضع التصور الاسلامى فى حل هذه المشكلة .

وينقسم البحث الى الموضوعات التالية :

أولا : مشوار مع المذاهب الاقتصادية الكبرى الراسمالية والاشتراكية .

ثانيا : مفهوم المشكلة الاقتصادية عند علماء الاقتصاد .

ثالثا : الاسلام والمقومات الاقتصادية .

رابعا : المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام وحلولها .

خامسا : نتائج لا مبرر لها .

(أ) التبعية للايدلوجيات الاقتصادية كحل للمشكلة الاقتصادية .

(ب) تحديد النسل .

سادسا : الامكانات العربية فى مواجهة التحدى الخارجى .

ولقد بذلت قصارى جهدى ، مخلصا لدينى اولا ، ولوطنى العربى والاسلامى ثانيا ، وللعلم ثالثا ، فان أكن قد وفقت فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وان تكن الاخرى ، فيكفينى أننى أخلصت فى بحثى لله رب العالمين .

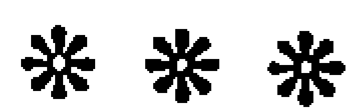
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخرطوم بحرى صباح الخميس ١٣ من ربيع الاول سنة ١٤٠٠ هـ .

٣١ يناير سنة ١٩٨٠ م

دكـــتور

رءوف شلبى



(والذين اذا انفقــوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) •

(أ) الراسمالية

(ب) الاشتراكية الأم

تدعى النظريتان : الاشتراكية بأنماطها ، والرأسمالية بتطور تاريخها .. انهما يهدفان الى خير الانسان واشباع حاجاته ، واسباغ الرفاهية عليه ، ومنحه السعادة التى يطمح اليها ، ونبدأ أول خطوة فى المشوار بعجالة عن اقطاب الاقتصاد الطبيعى الكلاسيكى ، أولئكم الذين وضعوا بذور علم الاقتصاد وسط فهم اقتصادى يدور حول مسألتين :

المسألة الاولى :

ان الحياة الاقتصادية تسير حسب ما تعطيه قوى الطبيعة ، وحكموا تبعا لذلك بأن هذه القوى هى التى تتحكم فى الكيان الاقتصادى للمجتمع . والواجب العلمى بناء على هذا يفرض على العلماء استكشاف قوانين الطبيعة ، ومالها من قواعد أساسية ، بحيث تكون صالحة لتفسير مختلف ظواهر الاقتصاد واحداثه ومجرياته .

المسألة الثانية :

أن هذه القوانين اذا اكتشفت ، فهى كفيلة بضمان السعادة للبشرية ، بشرط ان تنفذ فى جو من الحرية لكافة افراد المجتمع .

والحرية المطلوب كفالتها للمجتمع ، هى حرية : الاستغلال والتملك والاستهلاك .

وذهب العلماء بناء على هذا ، الى أن الوقوف فى وجه الافراد هو وقوف فى وجه الطبيعة وقوانينها فالرخاء وحل مشكلات الحياة الاقتصادية ، مرتبطة طردا وعكسا باحترام هذه الحريات الثلاث : التملك .. والاستغلال .. والاستهلاك

وقد بدا هذا الفهم متخلفا علميا ، لان قوانين الطبيعة لا تختلف اذا توافر لها الظرف اللازم . وعليه فمن الخطأ أن تعتبر الحريات الراسمالية قوانين طبيعية ، وتعتبر بناء على هذا ، مخالفتها جريمة فى حق تلك القوانين ، اذ أن قوانين الاقتصاد الطبيعية ، تعمل ولا تكف عن العمل فى جميع الاحوال بل ومع اختلاف درجة الحرية فى حق التملك ، والاستغلال والاستهلاك .

والأصوب أن يقال : ان هذه القوانين ، يختلف مفعولها ، تبعا لاختلاف ظروفها والشروط المتوفرة حواليها .

الفارق بين نظرة الاسلام والنظرية الراسمالية :

وقد أوصى فقهاء الاقتصاد بالنظر الى هذه الحريات ، فى جو بعيد عن الطابع العلمى المطلق ، لانها تمثل اتجاها مذهبيا خاصا ، وهنا يتضح فارق رئيسى بين نظرة الاسلام الى

القوانين الاقتصادية فى مستواها الطبيعى ، وبين النظـــرية الراسمالية .

وهذا الفارق هو : ان الاسلام بوصفه دينا ، وان كان لا يعالج موضوعات الاقتصاد علميا ، غير انه يملك مذهبـــا اقتصاديا ، يؤثر على احداث الحياة الاقتصادية ، عن طريق مفهوم الحياة ودوافعها وغايتها لدى الفرد المسلم ، وذلك بأن صهر الفرد المسلم فى قالب روحى ، أبدع به الفرد المســلم حياة افضل من حياة المجتمع الراسمالى ، الذى كان يعيش معه فى نفس الفترة ، مما جعل المبادىء التى صقلت المسلم فى ذلك الحين ، ميزانا لتحقيق الحياة الافضل فى العصر الحديث فأية أمة تلك التى يشهد لافرادها بأنهم : يؤثرون على انفســـهم ولو كان بهم خصاصة .

انها الأمة التى تستطيع بفردها المسلم ، الذى يفسح الانتاج وسيلة لاسعاد امته ، ويقدم ثمرات عمله خدمة للامة عن رضا وقبول واستحسان . وفى الحديث الشريف :

« ان الاشعريين اذا ارملوا اقتسموا الطعام فهم منى وأنا منهم » .

واذا كان جوهر الحرية فى الاسلام ، هو هذا الرخاء

الذى يقدمه المسلم لمجتمعه ، تلبية لنداء العقيدة ، فان الحرية فى الراسمالية ، ترتبط بأحدى ضرورات ثلاث :

(أ) ضرورة ارتباط فكرة التوافق بين مصالح الفـــرد ومصالح المجتمع ، لانه اذا تم التوافق ، توفرت المصـــالح العامة . وعلى ذلك لا تكون الحرية ، الا اداة لتوفير المصالح العامة .

(ب) ضرورة ارتباط تنمية الانتاج بناء على النظــرية القائلة بأن الحرية الاقتصادية ، هى افضل قوة دفع الى الانتاج ولتفجير الطاقات ، ولمضاعفة الثروة الاجتماعية .

(جـ) ضرورة ارتباط الحرية الاقتصادية بالحرية الراسمالية لانها ليست مجرد اداة ، لتنمية الانتاج ، أو للوفاء الأجتماعى وانما هى تحقيق لانسانية الفرد ووجوده الطبيعى الصحيح .

وملخص الراى عند علماء هذا المذهب ، ان الحرية تعتبر ضرورة فى التصميم الاجتماعى ، لانها اما وسيلة لتحقيق المصالح العامة ، أو لانها سبب لتنمية الثروة والانتاج ، أو لانها تعبير اصيل عن كرامة الانسان . ولقد اصبح من السخرية بمكان الحديث عن التوافق بين المصالح العامة والدوافع الذاتية ، لما سجله التاريخ منجنايات علىالاخلاق والروحانيات ومآسيها فى المجتمع ، ويكفى من نتائج دميمة لهذه الحرية الاقتصادية .

ان الانسان بات كسلعة تخضع لقوانين العرض والطلب فاذا زادت القوى البشرية العاملة ، وزاد المعروض منها على مسرح الانتاج ، انخفض سعرها ، لان الراسمالى سوف يعتبر ذلك فرصة حسنة لامتصاص سعادته من العامل الشقى . ولذلك وصمت الراسمالية بقانون الاجور الحديدى . ذلك القانون الذى تحطم امام ثورات العمال المتكررة كل عشية وضحاها . وهنا تأتى عظمة الاسلام الحنيف ، اذ يجعل الاجر نظير العمل ، بقدر يكفى ويتناسب مع كرامة العامل . فيقول النبى صلى الله عليه وسلم :

((اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه))

(رواه ابن ماجه)

ففى الحديث ثلاثة أمور :

١ ــ ان الاجر لا يعطى الا بعد قيام العامل بالعمل .

٢ ــ ان العامل يستحق اجره حسب حاجته .

٣ ــ ان العمل الذى ادى قد استفرغ جهد العامل ، ولذا فله عرق من كثرة العمل .

اما الراسمالية فقد كانت حريتها الاقتصادية سيفا مسلطا على الاخلاق والقيم فى المجتمع الانسانى ، وانها لوصمة عار

تلك التى جعلت اصحاب نظرية الحرية الاقتصادية تسـابق الدول الاوروبية بشكل جنونى على استعباد البشر الآمنين القانعين ، ولعل الهجرة الاوروبية الى أفريقيا من بريطانيا وبلجيكا ، واغتصاب امم من البشر ، وبيعهم رقيقا لاصحـاب المصانع فى أوروبا .

وأن الطريقة التى تمت بها سرقة هذه الامم البائسة ، لتفزع القلب الفظ ، بل الانسانى ، فقد عمد الاوربيون الى قرى اهالى افريقيا فحرقوها ، ليهب الناس فزعين الى مكان يأويهم فتستقبلهم النخاسة ، فيحملونهم على البواخر ويرسلونهم الى اسواق الرقيق فى اوربا .. ولقد ظلت هذه الجريمة الى القرن التاسع عشر حتى استبدلتها اوربا باحتلال كامل لبلاد الشرقى الافريقى والآسيوى .

ذلك بايجاز مستوى المذهب الراسمالى ، فى دعواه تحقيق الرخاء والسعادة للبشر .

ولم يكد المذهب الراسمالى يفيق من قضاياه ، حتى عاجلته النظريات الاشتراكية بأنماطها المتعددة .

خطأ وفشل النظريات الاشتراكية :

ونحب ان نقول فى بادىء الامر ، انه لم يقم فى العالم كله نظرية اشتراكية ، بناء على المادية التاريخية التى تعتمد

عليها نظرية ماركس ، فالثورات الداخلية التى مارست عملية تطبيق الاشتراكية الماركسية ، لم تعتمد فى انتصارها على الصراع الطبقى .

ولعل أحداث أفغانستان فى ديسمبر سنة ١٩٧٨ ، ومن قبل ذلك المجر وتشيكوسلوفاكيا لم تكن الا نتيجة ثورة مسلحة وليست ثورة بسبب شدة التناقضات الطبقية الى بدعها ماركس والماركسيون .

ولقد سقط الحكم فى روسيا ، نتيجة انهيار عسـكرى صاحب الحرب العالمية الاولى ، الامر الذى مكن لقوى المعارضة من الانتصار السياسى .

والصين لم يطبق فيها النظام الاشتراكى ، نتيجة صراع بين الطبقات ، بل كان نتيجة حرب عسكرية كذلك .

وكذلك الحال فى بلاد المغرب العربى ، وفى اليمن وفى سوريا وفى العراق . لم يكن هناك صراع طبقى ، ولا تناقضات تاريخية ، سارت فى مسارها المبتدأ به ، حتى وصلت الى الحكم بل هو انقلاب مسلح .

والنظرية اذا فشلت فى التطبيق ، فشلت فى الاصل الفكرى الذى تقوم عليه ، وهو نفس القياس الذى تأخذ به الحركة الشيوعية او الاشتراكية .

يقول جورج بولتزير :

« أن من يهمل النظرية ، يقع فى فلسفة الممارسة ، فيسلك كما يسلك الاعمى ، ويتخبط فى الظلام اما ذلك الذى يهمل التطبيق ، فيقع فى الجمود المذهبى » .

ويقول ماوتسي تونج :

« ان نظرية المعرفة فى المادية الديالكتيكية ، تضع التطبيق فى المقام الاول . فهى ترى أن اكتساب الناس للمعرفة ، يجب أن ينفصل بأية درجة كانت عن التطبيق ، وتشن نضالا ضد كل النظريات الخاطئة ، التى تنكر اهمية التطبيق ، أو تسمح بانفصال المعرفة عن التطبيق » .

وعلى هذا المقياس الذى ارتضاه الشيوعيون انفسهم ، نؤمن ان الاشتراكية بأنماطها ، مذهب كاذب وفاشل ، لانه وضع قواعد للنظرية لم تتحقق مرة واحدة فى كل البلاد التى ساد فيها هذا المذهب بقوة السلاح .

● فروسيا كانت بلدا زراعيا ، وحركة التصنيع فيهـا منخفضة ، وكان الراسمال المحلى عاجزا عن الانتاج ، وكانت المشاكل السياسية والعسكرية فادحة ، وقد رفض ماركس من

قبل ، أن تكون روسيا ارضا تتحقق عليها شيوعيته ، لانه كان يحلم بالثورة الاشتراكية من انجلترا أو من فرنسا ، لوجود كثافة عمالية ، ومصانع كثيرة ، ظنها يوما تحقق احلامه .. ولكن حتى الآن لم تستطع القوى العمالية فى انجلترا وفرنسا ، مطمح آمال ماركس ، أن تحيلهما الى دولة شيوعية .

ولقد دفن ماركس فى انجلترا ، بعد أن حلت مشاكل العمال عام ١٨٤٨ م . أى اثناء قيامه بتسوية المانفستو الشيوعى الفاشل .

● ودول اوربا الشرقية فرضت عليها الاشتراكية بقوة الجيش الاحمر ، مثل دولة بولونيا والمجر والتشيكوسلوفاكيا ، ولم تنبثق من هذه الدول ثورة نتيجة صراع الطبقات .

المعالم الأساسية للاشتراكية :

والمعالم الرئيسية لكل الأنظمة الاشتراكية أربعة :

(أ) محو الطبقية وتصفية حسـابها ، بخلق مجتمع لا طبقى .

(ب) تسلم البروليتاريا للادارة عن طريق تكوين حكومة ديكتاتورية قادرة على تحقيق رسالة المجتمع .

(ج) تأميم مصادر الثورة ووسائل الانتاج ، واعتبـــارها ملكا للجميع .

(د) التوزيع يكون على أساس : « من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله » يستند ماركس الى قوانين المادية التاريخية التى ظنها تفسر حركة التاريخ فى ضوء تطورات القوى المنتجة واشكالها المختلفة .

وهذا خطأ علمى ، لان الواقع التاريخى لا يسير فى موكب المادية ، ولا يستمد محتواها الاجتماعى من وضع القـــوى المنتجة فقط . لان الواقع التاريخى من صنع الانسان نفسه ، بكل ماله منملكات وانجازات وقيم واخلاق . علىان التناقضات هذه ترتكز على قانون القيمة والقيمة الفائضة وكلا القانونين قد سقط علميا . فان عالم التكنولوجيا المعاصر جعل قيمة الفائض لا لجهد الانسان وعرقه ، بل لذكائه وقدرته على صنع آلات تجيد مستوى الصناعة رشاقة ودقة وذوقا ، ولم يبذل العامل أمام الآلة أى جهد يحتسب فى قيمة السلعة .

وعلى هذا يظهر فكر ماركس فكرا متخلفا عن التطور العلمى والصناعى .

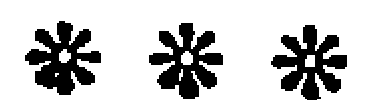
وآذا كانت النظرية قائمة على أساس أن العامل يعطى للمادة قيمة بما يعطيه من ساعات العمل ، وقد آلت ساعات

العمل الى الآلة وصار العامل يقف ليضغط على زر لتدور الآلة وهى التى تضع المواد الخام ، فقد انهارت النظرية ولم يعد لها محل للنقاش .

ولعل من الع الادلة على كذب ادعاء الاشتراكية ، انها تريد الرخاء للبشر ، ثورة العالم الفزيائى « زخاروف » على النظام والحكم الروسى .

ومن قبل فقد رفض « برنشتاين » مبدأ الصراع بين الطبقات ومبدأ فائض القيمة .

وبذلك فقد انتهى مشوار الاقتصاد ، الى الفشل فى الغاية التى ادعاها لنفسه ، انه يعمل لخير الانسانية ورخائها .



المشكلة الاقتصادية عند علماء الاقتصاد

(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)

١٠٣ — ١٠٤ الكهف

وان لبيبا يرتضى نقص عقله
بأكل لقيمات لقد ضل سعيه

تتفق النظريات الاقتصادية على وجود ما يسمى اصطلاحيا بالمشكلة الاقتصادية .

المشكلة الاقتصادية عند الراسماليين :

فالراسمالية تذهب الى أن المشكلة الاقتصادية هى :

قلة الموارد الطبيعية نسبيا ، نظرا الى أن الطبيعة محدودة فالارض لا يمكن زيادة كمها ، ولا يمكن زيادة ثرواتها المتنوعة ، رغم أن احتياجات الانسان تنمو وتزيد ، وتطرد وفقا لتقدم المدنية وازدهارها .

ويظنون أن الطبيعة عاجزة عن تلبية جميع تلك الحاجات بالنسبة للتطور الحضارى ، فلن يسع هذا التطور جميع الافراد ومن هنا ينشأ عندهم ما يسمى بالمشكلة الاقتصادية ، نظرا لعدم امكان اشباع جميع الافراد بحاجاتهم .

فالمشكلة الاقتصادية اذن فى نظر الراسماليين :

ان الثروة الطبيعية ، لا تستطيع مواكبة التمدن المتلاحق

وبالتبع لا تستطيع اشباع جميع ما يستجد من البشر خلال التطور المدنى .

وعناصر المشكلة فى نظر هؤلاء ثلاثة :

١ ــ الحاجة
٢ ــ الموارد
٣ ــ المواءمة بينهما

● وبالنسبة للحاجات : فانها رغبة طبيعية تتجدد وتطرد وتتنوع ، وهذا يتطلب موارد تغطى الكم لاشباع الرغبات .

● وبالنسبة للموارد فالارض الزراعية لا يمكن ان تنتج لنا من المأكولات كل ما نشتهيه ، ومن الغذاء كل ما نحتاج اليه . وكذلك بقية المواد الطبيعية . فهناك ندرة نسبية بين الحاجات والموارد . وتبعا لهذا فان الموارد تتناسب طردا وعكسا فى ندرتها .

● يظهر من ذلك ان الرغبات لا تغطيها كمية الموارد ، وعليه تقوم مشكلة اقتصادية هى محاولة التوفيق بين الحاجات والموارد بقدر ما يمكن .

وعلة هذا الخلط فى الفكر الرأسمالى :

(أ) انه يعيش فى رقعة ضيقة ، سببت له عدة حروب من أجل التنفيس عن ضيقه ، والبحث عن مصـــادر للمواد المعيشية .

(ب) انه لا يملك مصدرا فى المعرفة يغذيه بأبعاد ما تحتويه الارض من قدرة على اشباع جمع الرغبات ، حتى تأخذ هى زينتها .

(جـ) ان الدين لم يستطع أن يضع لهم تصورا صحيحا عن علاقة الانسان بالكون .

المشكلة الاقتصادية عند الشيوعية أو الاشتراكية :

● واما الشيوعية أو الاشتراكية فتذهب الى أن المشكلة الاقتصادية هى : مشكلة التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع . فاذا تم الوفاق بين الانتاج والتوزيع ساد الاستقرار للحياة الاقتصادية .

واذا كان الشيوعيون يقولون بنظرية التناقض ، فمـــا هو الحد الذى تقف عنده موجات التناقض ؟ ومن الذى سيوقف هذا التناقض ؟ ومن الذى سيحدث الوفاق بين الانتاج والتوزيع اذا سلب الفرد حريته فى اختيار العمل المعين ، ولم يأمل فى توزيع عادل يضمن له حاجاته من بعد ؟

ولعل الواقع الشيوعى والاشتراكى يعفينا من الاطالة فى تصوير فشل المذهب بكل أبعاده وقضاياه . فالاشتراكية فى جميع البلدان فاشلة فى تحقيق حاجة الانسان الى الحرية قبل الطعام .

والخلاصة :

ان المشكلة الاقتصادية نتاج طبيعى للنظريات الاقتصادية حسب تصورها ، بدليل ان الحياة الاقتصاديةفى عصر المقايضات والبدائل العينية لم تشعر بمشكلة اقتصادية . فان الكل ينتج حاجاته ، وتبادل الحاجات عن طريق العينات ، قبل ان يكون التداول نقديا هو عصب التوازن الاقتصادى قديما .

فالمشكلة الاقتصادية نتيجة :

(أ) ظهور النقد كبديل فى المقايضات .

(ب) استخدام النقد فى الادخار ، وابعاده عن مجال الاستثمار الفعلى لصالح المجتمع .

(جـ) استخدام النقد فى التعامل الربوى الذى يعطى راس المال نسبة من العمل ، دون ان يجهد صاحبها فى الانتاج .

(د) تحويل مفهوم الربح من محتواه الانسانى ، فى المحافظة على استمرار رأس المال ليؤدى وظيفته الاجتماعية ، الى رغبة جامحة فى الثراء بشتى الطرق .

(هـ) انفاق مسرف على المظاهر البراقة فى الدعاية ، والترفيه ، والامزجة غير الاخلاقية وهى ممارسات تحدث مشكلة اقتصادية من حيث : ــ

(أ) ضياع جزء من المال هباء .

(ب) ضياع وقت من الزمن دون انتاج .

(جـ) الاصابة بأمراض ، تسبب خسارة فى انفاق طبى دون مقابل ، لانه كطبيب لصحة معلولة .

(د) تعطيل قوة من قوات وسائل الانتاج .

ولهذا حذر الاسلام من كل هذه المظاهر التى تسبب الضيق الاقتصادى على نحو ما سنعالجه ان شاء الله . فالمؤمن القوى خير واحب عند الله من المؤمن الضعيف .

* * *

الإسلام والمقومات الاقتصادية

(أ) الملكية وحرية الانتاج .

(ب) وسائل الانتاج .

(ج) الانفاق والتصدق .

(د) العدالة الاجتماعية .

(هـ) التداول .

نظرية الاسلام الاقتصادية احدى النظريات التى تدخل فى الاطار العام للدين الاسلامى كمنهج للحياة .

فاذا كانت الاديان الاخرى قد تحددت بقوم مخصوصين واماكن وأزمنة محددة حسب نصوصها ، فان الدين الاسلامى دين عام وشامل للناس جميعا ، وللزمان كله ، وللمكـــان بأجمعه .

((وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)) .
٢٨ سبأ

((قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا)) .
١٥٨ الاعراف

والاسلام كمنهج للحياة الانسانية يضع الاسلوب الذى يتعايش الناس عليه ، قد وضع للاقتصاد حدودا وقواعد تحقق الغاية التى ينشدها الانسان فى حياته ، وهو أن يعيش راضيا وسعيدا ، ومشرئبا لحياة افضل ، فى دار النعيم يوم يحاسب المرء على ما قدم واخر وعلى ما كسبت يداه وعن ماله مم جمعه وفيم انفقه ؟ .

والمقومات التى وصفها الاسلام ، كمذهب اقتصادى ينسب اليه ، وبه يتحقق الخير للناس هى :

● **الملكية .**

● **وسائل الانتاج : الارض ، البحار ، والافلاك ، والقوى البشرية .**

● **وقواعد الانفاق والتصدق .**

● **وتحقيق العدالة الاجتماعية .**

● **والتداول .**

* * *

أولا . الملكية وحرية الانتاج

تقوم نظرية الاسلام فى الملكية على تحديد مفهوم المال فى نظر الاسلام . .

فالمال فى الاسلام وسيلة لخدمة الجماعة ، ولتحقيق اغراضها ، وأغراض الجماعة الاسلامية هى :

(أ) حفظ النفس .

(ب) حفظ الاسرة

(جـ) حفظ العقيدة .

(د) حفظ الوطن الاسلامى .

فى مجال الحث على الانفاق ، يطالب الاسلام المسلمين ان ينفقوا مما جعلهم الله مستخلفين فيه .

يقول تعالى :

« آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » .

٧ ــ الحديد

ويقول جل جلاله :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

٣٣ ــ النور

وهذا دليل على ان الملكية الاصلية هى لله جل جلاله ..

« ولله ميراث السموات والأرض » .

« له ملك السموات والأرض » .

وهذا يشير الى ان ملكية الناس للمال ، انما هى ملكيته بالوكالة او ملكية انتفاع .

ولذا ، فعندما تأتى التكاليف التى يترتب عليها الثواب والعقاب واللوم والمؤاخذة ينسب الله تعالى الملكية الى العباد ، فيقول جل جلاله :

« والذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » .

(٢٧٤ ــ ٢٧٥ البقرة)

« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم » .

« يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر

فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين »

(٢٦١ ـــ ٢٦٤ البقرة)

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » .

(٥ ـــ النساء)

اذن الملكية فى نظر الاسلام لها جانبان

جانب اصلى ثابت : هو أن الله وحده هو الذى يملك السموات والارض والعباد .

جانب تفويضى وظيفى : هو ان العباد موكلون من قبل الله تعالى فى الانتفاع بهذا المال فهى ملكية انتفاع ، والنبى صلى الله عليه وسلم يصور هذه الملكية اصدق تصوير فى قوله الشريف **« يتبع الميت ثلاثة : يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه : أهله ، وماله ، وعمله فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله »** .

متفق عليه

وملكية الانتفاع هذه ملكية ذات اشكال متنوعة :

* **فالاسلام يؤمن بالملكية الخاصة** ، ويجعل الدفاع عنها حقا مشروعا . والحديث الشريف يقول « **ومن قتل دون ماله فهو شهيد** » .

(رواه أبو داود والترمذى)

* **كذلك الاسلام يؤمن بالملكية العامة** . وحدها فى نظر الاسلام ، كل مالا دخل للفرد فى انتاجه ، مثل الارض والمعادن والبترول ، والبحار والغابات ، وكنوز الجبال .

* **كذلك الاسلام يؤمن بملكية الدولة** . وهو بيت المال غرما وغنما .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم « **من ترك مالا فلورثته ومن ترك كلا فالينا** » . متفق عليه

وغنائم الحــرب ، والفىء كلها من حقــوق الدولة الاسلامية .

ومن هنا يظهر الخطأ الفادح علميا لمن يصف النظام الاقتصادى فى الاسلام بأنه راسمالى أو اشتراكى . وسبب ذلك الخطأ يرجع الى ان : ـ

(أ) النظام الرأسمالى يؤمن بالملكية الفردية وبحريتها غير المقيدة كقاعدة عامة ، ولا يلجأ الى الاعتراف بالملكية العامة الا فى ظروف اجتماعية خاصة .

والحرية الفردية عندهم « الغاية تبرر الوسيلة » وعندهم « الربح قبل خدمة المجتمع » ولهذا فان المجتمع الاسلامى يرفض أن يطلق على نظامه الاقتصادى مثل هذه التسمية ، لاختلاف قواعد العمل الاقتصادى بين الاسلام والراسمالية فالاسلام يرى أن الملكية متنوعة ، انها لخدمة المجتمع ، والراسمالية ترى أن الملكية فردية ولها أن تفعل ما تشاء فى سبيل الحصول على ربح اكبر .

(ب) والنظام الاشتراكى لا يؤمن بالملكية الفردية ولا يضع لها ادنى حساب فهو قائم على قاعدة الملكية العامة

ومن الخطأ علميا أن يوصف نظام الاقتصاد الاسلامى بأنه اشتراكى .

صحيح ان الاشتراكية بدات تنزع فى الآونة الاخيرة الى نوع من الملكية الخاصة الجماعية ، لكنه نزوع سببه فشل التجربة ، وليس ملكية خاصة بالمفهوم الصحيح .

والملكية العامة التى يقرها الاسلام ليست هى الملكية العامة فى نظر الاشتراكية .

لان الملكية العامة فى نظر الاسلام هى المصادر الاساسية التى لا دخل للاكتساب الفردى فيها ، مثل الارض والنهر ، والبترول ، والمعادن الاخرى .

اما الملكية العامة فى النظام الاشتراكى ، فهى التلصص على ممتلكات الافراد .

ومن هنا يفترق نظام الاصلاح بين الاسلام والاشتراكية . ومن هنا أيضا نقول بخطأ اطلاق لفظ الاشتراكية على النظام الإسلامى .

كما أن مفهوم الملكية الفردية فى الاسلام ليس هو مفهوم الرأسمالية ، لان الملكية الفردية فى الاسلام محاطة بقوانين تحد من استغلالها للمجتمع . لان الانتاج فى نظر الاسلام مرتبط بالقيم والمبادىء الاسلامية .

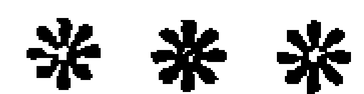
* فلا يجوز للافراد اقامة مصنع الخمور ، وان صح ذلك فى النظام الرأسمالى ، لان الاسلام حرم الخمر .

* ولا يجوز للافراد التعامل بالربا ، وان صح ذلك فى النظام الرأسمالى . لان الاسلام حرم الربا الى يوم القيامة .

* ولا يجوز ان يغش او يحتال او يغتصب ، او يسرق أو يغل أو يخون ....

* ولا يجوز للحاكم أن يتاجر على المسلمين ، فان فى عمله بالتجارة خلخلة لموازين العمل الاقتصادى ، بما يبتزه أو يحتكره من طعام المسلمين . يقول النبى صلى الله عليه وسلم : **« من اخون الخيانة تجارة الوالى فى رعيته »** .. رواه الطبرانى حديث حسن

ويمكن أن نصوغ مجتمعنا الاسلامى فى حياته الاقتصادية على هذا اللون من الملكية ومن الحرية فى الانتاج ، المشروط بقواعد الشرع الحنيف ، حيث يبرز الجانب الانسانى فى جميع النواحى بالخير والحق والعدل والرحمة ، بعيدا عن التنافس والسعى وراء ربح اكثر ، ولو على حساب الضعاف والمساكين .



ثانيًا : وســـائــل الانتــاج

من سمات الحياة الاسلامية انها حياة انتاج لا استهلاك والملاحظون لنظام العبادة يرون نظام الصوم المفروض والمسنون يوحى بأن الامة الاسلامية امة انتاج لا أمة استهلاك .

ولقد دعا الله الامة الاسلامية الى العمل والى زيادة الانتاج فى عديد من آيات القرآن الكريم وأحاديث السـنة الشريفة المطهرة .

يقول الله تعالى :

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

(الملك ١٥)

يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« اذا بات الرجل كالا من عمل يده بات مغفوراً له » .

« ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده »

وسائل الانتاج عند الاقتصاديين :

ووسائل الانتاج فى الاسلام اكثر من التى عرفهـــــا الاقتصاديون :

انهم ــ الاقتصاديين ــ يرونها فى :

العمل ، والموارد الطبيعية ، وراس المال ، ويقصدون به : الآلات والمعدات والمنشآت التى تمكن الافراد من القيام بعملية الانتاج ..

ثم التنظيم : ويقصدون به دراسة المشروعات من حيث احتمالات النجاح والفشل .. فهم يدرسون :

- عوامل الانتاج وقت انشاء المشروع .
- واسلوب الانتاج .
- وتحديد افضل النسب التي يمزج بها عناصر الانتاج اللازمة للمشروع .

- واختيار الموقع .
- وتجميع راس المال .
- ومستوى تواجد الايدى العاملة .
- وكيفية التسويق ..... الخ .

ولهذه النظرة الضيقة ، حكموا على وسائل الانتاج الطبيعية بأنها ضيقة ، وأنها لا تكفى لاقوات الناس ، ورتبوا على ذلك قضايا منها تحديد النسل وانفجار السكان .. والندرة الاقتصادية ... الخ .

ولقد كانت نظرتهم من منطلق اعتقادهم وعجز أديانهم الاوربية عن اعطاء تصور صحيح لقدرة الله الرزاق المتين وما اودعه فى هذه الارض وما ادخره فى السماء وما اودعه البحار والجبال من كنوز .

وسائل الانتاج فى الاسلام :

ولهذا كانت نظرة الاسلام اشمل واصدق . فقد اضاف الى هذه الوسائل نحــ

(أ) السكون .

(ب) طاقات الانسان

فصارت وسائل الانتاج فى الاسلام اشمل واكثر وادق فهى :

(أ) الارض وما عليها وما فيها .

(ب) والسماء وما فيها .

(جـ) الرياح اللواقح .

(د) السمع والبصر والفؤاد .

اولا : الارض وما عليها وما فيها :

يقول الله تعالى :

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شىء عليم » .

(٢٩ ــ البقرة)

« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وانهارا ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

(٣ ــ الرعد)

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين » .

« وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

(١٩ ـ ٢١ الحجر)

« والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين » .

(٥ ـ ٩ النحل)

« وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجون منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

« وألقى في الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون » .

(١٣ — ١٥ النحل)

« وما يستوى البحران : هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ، ومن كل تأكلون لحما طريا ، وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

(١٢ — فاطر)

« الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » .

« قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين » .

(٩ — ١٠ فصلت)

ثانيا : السماء وما فيها :

***

يقول الله تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار » .

(٣٢ — ٣٤ ابراهيم)

« هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

(١٠ — ١٢ النحل)

« وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » .

(٢٢ — ٢٣ الذاريات)

***

ثالثا : الرياح اللواقح :

« وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » .

(٢٢ ــ الحجر)

« وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا » .

(٤٨ ــ ٤٩ الفرقان)

« وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » . (٢٨ ــ الشورى)

رابعا : السمع والبصر والفؤاد :

لن تستطيع جميع الموارد الطبيعية أن تثمر شيئا ما ، الا بجهد الانسان البشرى . وهذا الجهد طاقة جسمانية ، وطاقة روحية ، وطاقة عقلية . . وتلك لا تعطى مداها الطبيعى من القوة المطلوبة فى الانتاج ، الا اذا كانت سليمة معفية من النقص . وهذا هو السر فى جعل الاسلام قوى الانسان عنصرا من عناصر الانتاج . فهى مركز التكليف الشرعى . فى هذا المجال يقول الله تعالى :

« والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » .

(٧٨ ـــ النحل)

هكذا يربط الاسلام الفرد المسلم بهذا الكون الفسيح فى عملية الانتاج .

● فالارض سهلة مذللة له .

● والبحار والانهار مهياة لعمله .

● والشمس والقمر والليل والنهار مسخران لخدمة زرعه وسفره وراحته وسعيه .

● والرياح تسعفه فى البر والبحر ، فتسوق اليه السحب المزن الثقال ، لتروى ظماه وزرعه فى الواحة البعيدة كما تسوق اليه سفينته فى الشط البعيد كذلك .

وقد جعل الله ذلك تذكرة من آياته ، الدالة على عظمة ابداعه وتدبيره للكون :

« ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ، ان يشا يسكن

الريح فيظللن رواكد على ظهره . إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ، أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير » .

(٣٢ — ٣٤ الشورى)

والاسلام بهذا يحرر المسلم من ربقة اليأس كما يحرره من العجز والكسل ، ويفتح له باب التفاؤل فى رحمة الله الواسعة ، فهو وحده جل جلاله فالق الحب والنوى ، كما هو فالق الاصباح . ومع هذا الرجاء فى رحمة الله ، وهذا الفيض المدرار من نعمه جل جلاله ، فانه لا ندرة ولا مشكلة فى الاقتصاد الاسلامى ، الا أن يجنح المسلمون الى غير ما أفادهم الله به من نعم وخيرات ومبادىء ودين قويم .

***

ثالثاً : قواعد الإنفاق

لم يترك الاسلام قوى النفس البشرية ، رهوا تستهلك ما تنتجه ، أو تسرف فى النفقة الواجبة شرعا ، بل جعل الله موازين للانفاق :

(أ) موازين للانفاق فى صورته الحلال .

(ب) موازين للصدقة على الفقراء .

***

اولا – موازين الانفاق :

أن تناول الحياة فى نظر المسلم تناول للطاعة . ومجالات العبادة في الاسلام هي مجالات رقابة مباشرة بين العبد وربه فالعبد يعرض قلبه وخاطره على ربه خمس مرات في اليوم والليلة ، انه يشهد الله على نقاء سريرته ، وسلامة عرضه وصدق سلوكه وامتثاله .

فتناول الحياة يأخذ هذا الخيز النقي من تفكير المسلم يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » (١) .

فالشراهة ، والنهم والتنافس على الحياة بصورة محمومة طائشة ، ليست اخلاقا اسلامية . بل الاخلاق الاسلامية ان يقنع بما يكفيه ، والا يبذر الفائض فى وجه غير شرعى .

ولقد حرص الاسلام منذ فجره الصادق بمكة المكرمة ، ان يدرب المسلمين على قانون الانفاق ، الذى يحقق التوازن بين قوة الانتاج وقوة الشراء ، بحيث لا تضطر الجماعة الاسلامية الى الخروج على مبدأ الاكتفاء الذاتى ، وبحيث لا يحدث فى المجتمع غلاء أو ندرة تؤدى الى رفع الاسعار أو احتكار السلع .

ولهذا يقول الله تعالى :

(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا » .

(٢٧ ــ الاسراء)

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه من طريق ابن عمر .

(ب) ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك . ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا)) .

(٢٩ — ٣٠ الاسراء)

بل أن هذا القانون الذى تقرره سورة الاسراء كمبدأ لسلوك الجماعة الاسلامية اقتصاديا ، قد جعلته سورة الفرقان خلقا ووصفا للمؤمنين يقول الله تعالى :

((وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم أن عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما)) .

((والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)) .

(٦٣ — ٦٧ الفرقان)

وهذا الميزان يجعله النبى صلى الله عليه وسلم شرطا لتصرف الزوجة فى مال زوجها .. ففى الحديث :

« اذا انفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة ، كان لها أجر بما انفقت ، ولزوجها اجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم اجر بعض شيئا »

(رواه مسلم)

ويوم ان يتحقق ميزان الانفاق من الغنى والفقير على السواء :

لا تبذير بالانفاق فى الكماليات والمهرجانات ، ولا اسراف فى النفقة على البيت والاهل والاقارب .

انه فى هذا اليوم تعرف الامة طريق الرخاء ، اذ لا يجد المتلصصون لهم بابا يلجون منه . وذلك لا يكون الا بالقدوة من صاحب الشأن وولى الامر .

ثانيا : موازين الصـــدقة :

قلنا ان وظيفة المال فى الاسلام وظيفة اجتماعية ، وليس القصد منه بالدرجة الأولى السعى وراء الربح الكثير ، وليس فى التصور الاسلامى ان يكون تكديس الاموال وادخارها هو الغاية التى يسعى اليها العمل فى نظر الفكر الاسلامى . بل العكس هو الصحيح ، فالمال خدمة للجماعة فقد وضع الله فى أموال الأغنياء حقوقا للفقراء : يقول الله تعالى :

« وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

(١٩ الذاريات)

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

(٢٤ ــ ٢٥ المعارج)

وجعل الاسلام البذل والعطاء من صفات المؤمنين الابرار الصادقين :

« ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جــزاء ولا شكورا » .

(٥ ــ ٩ الانسان)

وعلى العكس تكون صفة البخل والاحتكار للجاحدين المكذبين ، يقول اللهً تعالى :

« كل نفس بمــا كسبت رهينة الا اصحــاب اليمين فى جنات يتساءلون . عن المجرمين . ما سلككم فى سقر . قالوا : لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين » .

(٣٨ ــ ٤٤ المدثر)

وسورة صغيرة فى القرآن الكريم تهز افكار الاقتصاديين فى شتى المذاهب ، حيث يجعل الاسلام المال لخير الجماعة والفرد علي السواء ، فى الدنيا وفى الآخرة . يقول الله تعالى :

« ارايت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين . فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » .

(الماعون) .

وقد توعد الله الذين يجمعون المال ويكنزونه ، ولا ينفقونه فى سبيل الخير والرخاء . يقول الله تعالى فى شأن القساوسة والأحبار ، الذين كانوا يكنزون المال ولا ينفقونه فى وجوه البر :

« يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

(٣٤ — ٣٥ التوبة)

ولقد جعل الاسلام جمع المال وعده وكنزه دون انفاقه فى وجوه الطاعة والبر من صفات الكافرين : يقول الله تعالى :

« ويل لكل همزة لمزة . الذى جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذن فى الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة . التى تطلع على الأفئدة . انها عليهم مؤصدة فى عمد ممدة » .

(سورة الهمزة)

فالانفاق فى سبيل البر والخير والصالح العام على الافراد او المؤسسات الاجتماعية ، امر يدعو اليه الاسلام كمبدأ فى النظام الاقتصادى الاسلامى .

ولذلك جعل له موازين وهى :

(أ) عدم الاسراف . وهو قدر عام فى كل نظريات الانفاق عند الاسلام .

(ب) الا يكون من الاردأ جودة :

يقول الله تعالى :

« ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد »

(٢٦٧ ــ البقرة)

ويقول جل جلاله :

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم » .

« ٩٢ ـــ آل عمران »

(جـ) : اخفاء الصدقة : اذا كانت لشخص معين ، أو اخفاؤها مطلقا خشية التهمة بالرياء .

يقول الله تعالى :

« ان تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير » .

(٢٧١ ـــ البقرة)

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فى شأن السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله :

« ورجـــل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما أنفقت يمينه » .

(د) ان يكون مؤمنا بالله الواحد الاحد ، وان يكون مصدقا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . يقول الله تعالى :

« قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم ، انكم كنتم قوما فاسقين . وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون » .

(٥٣ ـ ٥٤ التوبة)

واذا كان القرآن الكريم يرفض العمل الصـــالح من الفاسقين الكفرة لانهم لم يؤمنوا بالله ولا برسوله فانه فى سورة الفرقان يصور حالتهم يوم القيامة ، بصورة بشعة فى الخسران واحباط الاعمال . يقول الله تعالى :

« يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا ، وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » .

(٢٢ ـ ٢٣ الفقران)

ويفصل القرآن هذه الصدقة فى سورة آل عمران . يقول الله تعالى :

« ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

(١١٦ — ١١٧ آل عمران)

ويقول الله تعالى :

« والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب » .

(٣٩ النور)

ولقد نجح الاسلام فى اقتصاده التطبيقى ، حيث كان الاخاء بين المهاجرين والانصار اخاء منبثقا من هذه القوانين ، التى تكفل العيش الرضى للانسان . فلم تحدث فى المجتمع الاسلامى الاول حاجة ندرة ، رغم انه مجتمع أرض صحراوية موسمية الامطار النادرة الوقوع .

ومع هذا فلم يؤثر الوضع فى نشر الدعوة والتغلب على كل المعاندين ، حتى حولت الجزيرة العربية كلها الى دولة اسلامية فى أقل من ربع قرن .

أن صحة النظريات الاقتصادية تقاس بنجاحها فى تحقيق الاغراض للدولة ، وقد ادت الدولة الاسلامية فى فجرها الاول كل اغراضها التى بعثت من اجلها :

(أ) فطهرت الجزيرة العربية من الشرك ، واستعدت لحمل مشعل الرسالة الى افريقيا ، ثم الى أوربا فى اقل من قرن .

(ب) وأوجدت مجتمعا متحابا ليس فيه صراعات ولا تنافس ، مع وجود الثراء والفقر . لكن للفقراء حقهم فى مال الاغنيـــاء .

(جـ) وأقامت العدالة الاجتماعية دون ثورة أو شعارا او « بروبا جاندا » .

وتلك علامة من علامات الاعجاز الاسلامى ، أن تصح نظريته فى عمر قصير ، مع التكامل فى بقية الاهداف العليـــا للدولة ، ولما تستطع الراسمالية أن تقدم هذا النجـــــاح لمجتمعها الذى تجتاحه نفسية التلصص ، وشبح البطالة ، وعربدة التنافس المادى الذى يقلق الامن ويرفع الامان عن النفوس .

ولن تستطيع الاشتراكية حصول شيء من هذا المستوى الرفيع للعدالة الاجتماعية ، لفسادها كمذهب ، ولفساد عناصرها ، وعدم تلائمها مع مطالب الحياة ، وطبائع البشر .

ذلك لان نظام الرقابة على الانفاق ، يحتاج الى شعور بالاحتـــرام الرقيب ، وذلك لايتأتى فى الانظمة البوليسية ، ومأموريات الضرائب . وانما يتأتى بنظام العقيدة التى تسوى بين الحاكم والمحكوم فى الوقوف أمام الرقيب الاعلى ، وهو الله صاحب الملكوت والسلطان ، والتدبير . وسبيل ذلك التربية فى معاهد التعليم ، والقدوة الحسنة فى ادارات المصالح والحكومة ، وطبقات العمل التجارى العام .

* * *

رابعًا : العدالة الاجتماعية

من سمات النظرية الاقتصادية الاسلامية ان العـــدالة الاجتماعية ركن من أركان الاقتصاد ، وعنصر هام ورئيسى من عناصره .

وليست العدالة الاجتماعية فكرة متروكة للاجتهاد ، بل هى مبدأ دينى منطلق من التكامل الاجتماعى ، الذى جعله الله تبارك وتعالى مسئولية المجتمع الاسلامى نحو افراده . فبين ابناء المجتمع الاسلامى علاقتان اساسيتان ، عليهمـــا تقوم دعامة العدالة الاجتماعية : ـــ

العلاقة الاولى : الاخاء وهو ليس لفظا مجردا بقدر ما هو حقيقة تاريخية فى التطبيق للنظام الاجتماعى الاسلامى فليس فقط مدلول الاخاء يقف عند قوله تعالى : **« انمـــا المؤمنون اخوة »** . (الحجرات ١٠)

ولا عند قول النبى صلى الله عليه وسلم : **« لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه »** البخارى

وانما الاخاء الاسلامى ، حركة اجتماعية ، قامت فى

اللحظة الاولى لبناء المجتمع الاسلامي بعد الهجرة ، تصنع من المهاجرين والانصار أمة تلتزم بالتكاليف الشرعية التى تحقق مبدأ كرامة الانسان ، وربانية المجتمع كله .

ولقد سجل القرآن الكريم عملية الاخاء هذه فى قوله تعالى :

« والذين تبوءوا الدار والايمـــان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

(الحشر ٩)

العلاقة الثانية : تحمل المجتمع مسئولية الولاية بين افراده ، فبين افراد المجتمع الاسلامى مسئولية الولاية فى تنفيذ أهداف المجتمع الاسلامى ، وحماية خصائصه . يقول الله تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعـــون الله ورســـــوله أولئك ســـيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » .

(التوبة ٧١)

وقـــد صـــور النبى صلى الله عليه وسلم مسئولية التضامن الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى ، يقول صلى الله عليه وسلم :

« ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثـــل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

(البخـــارى)

فالحياة فى التصور الاسلامى قائمة على التراحم والتوادد والتعاون . ففى الحديث الشريف :

« الراحمون يرحمهم الرحمن » .

وهى خاصية عامة للدين الاسلامى : **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .**

(الانبياء)

غير ان مفهوم العدالة الاجتماعية له جانبان :

● جانب اقتصادى : هو رعاية المحاويج .

● وجانب اخلاقى : هو احترام القيم وحماية كرامة الانسان .

مفهوم الجانب الاقتصادى للعدالة الاجتماعية :

والجانب الاقتصادى فى رعاية المحاويج ، يصور توظيف المال لخدمة الانسان . فشرع عدة قوانين مالية للمحافظة على الضعاف والمحاويج فى المجتمع .

فالزكاة ، والصدقة ، والنذور ، والكفارات ، والهبة ، والوقف ، والرقبى ، والعمرى ، والفىء ، والانفال ، والركاز والميراث ، والعدل بين الاولاد ، وتحرير الرقيق ، واحياء الموات ، والاضحية ، والهدى .

وهذا الجانب لا يقوم على المن والاذى ، بل ولا يشعر اصحاب هذه الحقوق انهم مدينون للاغنياء ، ذلك لان الله تبارك وتعالى جعل لهم حقوقا .

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .
(٢٤ ـــ ٢٥ المعارج)

وهذا الحق المعلوم قائم على ثبوت حق الفقراء فى مال الاغنياء يقول الله تعالى :

« وفى اموالهم حق للسائل والمحروم » .
(١٩ الذاريات)

ولهذا فقد حذر الله أن يصاحب تسليم هذا الحق من أو أذى من الاغنياء . يقول الله تعالى :

« الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عايهم ولا هم يحزنون » .

(٦٢ ــ البقرة)

وجعل الاسلام القول المعروف والعفو أفضل من صدقة تصاحب لفظا نابيا أو تأنيبا .. الخ

يقول الله تعالى :

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غنى حليم ، يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صــدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليــوم الآخر .... » الآية .

(٢٦٣ ــ ٢٦٤ البقرة)

ولذلك يكون من الخطأ علميا أن يتصور أن مفهــوم العدالة الاجتماعية فى الاسلام رديف أو شبيه بما يماثلها فى التسمية فى الانظمة اخرى .

لانها فى الاسلام منطلقة من العقيدة والايمان ، وقائمة على ركيزة الاخاء والولاية داخل المجتمع الاسلامى .

ومن جانب ثالث : فانها تحفظ على الفـــرد مروءته ، وفيرة وفرة تكفى شمولها لكل افراد المحاويج .

ومن جانب ثالث : فانها تحفظ على الفـــرد ومرؤته ، وكرامته وقيمته الانسانية .

مفهوم الجانب الاخلاقى فى العدالة الاجتماعية :

واما الجانب الأخلاقى فى العدالة الاجتماعية فيبـــرز صحة قواعد العدالة ، حيث تكون قيمة الانسان وكـــرامته متساوية بين سائر ابناء المجتمع الاسلامى ، مهما اختلفت اشكال الوظائف .

● وقصة عمر بن الخطاب وهو امير المؤمنين ، يعنى تحته هذه الاقطار الاسلامية فى افريقيا وآسيا ، تقـــول له امراة وهو على المنبر يوم الجمعة ، والناس كلهم شـــهود « أخطأت يا عمر .. !! » ايعطينا الله وتمنعنا أنت ؟ قد قال الله تعالى : **« وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتخذونه بهتانا ، واثما مبينا »** .

وكان عمر يعظ الناس الا يتغالوا فى المهور . فقال لها : اصابت امراة واخطأ عمر !! ..

ان المحافظة على القيمة الانسانية حظ وافر فى النظرية الاسلامية ، وهى تقيم العدالة الاجتماعية حتى ولو كان ذلك المخاطب هو رئيس الدولة ، ولم يجد المجتمع الاسلامى من يخذل المراة لانها عارضت رئيس الدولة ، لانهم جميعا يتحملون مسئولية الولاية ، يأمرون بالمعروف كائنا من كان ، وينهون عن المنكر كائنا من كان .

● ومن العدالة الاجتماعية ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى عام المجاعة كان شاحب الوجه وفى ثوبه ثلاث رقاع ، فأشفق عليه المسلمون وطالبوه ان يأكل السمن ليقوى ويلبس ثوبا يليق بالامارة — وكان يستطيع أن يفعل — فقال : « لا اشبع حتى يشبع الناس » .

● من العدالة الاجتماعية مراقبة التوازن بين افراد المجتمع فى الحصول على القوت . ولقد رؤى عمر بن الخطاب فى الاسواق ومعه الدرة يضرب بها من اخذ اكثر من حظه فى اللحوم .

● وعبادة بن الصامت تهدى اليه هدية ومعه فى الدار

اثنا عشر نفرا من أهله ، ولكنه يرى ان آل فلان احق بها ، مع انه معيل وله اسرة كبيرة .. قال الوليد بن عبادة بن الصامت فأخذتها فكنت كلما جئت اهل بيت يقولون اذهب بها الى آل فلان فهم أحوج منا اليها ، وظل هكذا .. حتى رجعت الهدية الى عبادة قبل الصبح .. وكان امتثالا للمبدأ الاسلامى

(ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

● ومن العدالة الاجتماعية التساوى فى الوقفة امام القضاء : فيحتفظ التاريخ الاسلامى بهذه الخاصية للدين الحنيف فقد وقف على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ورضى الله عنه كتفا الى جوار كتف يهودى خاصمه فى شىء ، ولم يكن مع أمير المؤمنين على بينة ، فقضى القاضى بها لليهودى ضد رئيس الدولة . فلم يضق صدره ، لانه يعلم أن القاضى ينفذ تعاليم الاسلام ، وان الحاكم لا يعلو فوق الحق ، ولا فوق القضاء مع انه يعلم انه صاحب الحق . ولكن عجز اثبات ملكيته امام خصمه اليهودى الذى استطاع — ظلما — أن يقيم الدليل على ملكيته للشىء المتنازع عليه . وادرك اليهودى عظمة الاسلام ، فرد الى أمير المؤمنين حقه ، وخرج اليهودى من ربقة اعتقاده ، وصار واحدا من جماعة المسلمين .

● والعدالة الاجتماعية بين الافراد كانت خلقا محمودا

فقد روى أبو ذر الغفارى قال : انى ساببت رجلا فشكانى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى عليه الصلاة والسلام أعيرته ؟ وفى رواية : **((انك امرؤ فيك جاهلية))** . فذهب ابو ذر الى الرجل الذى سبه ووضع خده على الارض وقال : طأ راسى لعل الله يغفر لى ويصفح عنى .

● ولعله من اوضح البراهين على صدق الاسـلام فى تحقيق الرعاية الاجتماعية فى جانبها القيمى والاخلاقى ، قصة جبلة بن الايهم ، فقد وطىء فزارى ازاره وهو يطوف بالكعبة ، فلطمه جبلة لطمة هشمت أنفه ، فاشتكى الفزارى الى عمر بن الخطاب ، فقال عمر لجبلة اما ان تدفع الدية ، واما ان تأذن له بلطمك لطمة مثلها !! فقال جبلة متعجبا كيف ذلك ، وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال عمر : ان الاسـلام قد سوى بينكما .

● وتذهب العدالة الاجتماعية كمبدأ فى المجتمع الاسلامى الى أذهب من رعاية بنى آدم ــ فتذهب الى رعاية الحيوانات فقد **دخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت لا هى اطعمتها ، ولا هى تركتها تاكل من خشاش الارض .**

وقد غفر الله لرجل لانه سقى كلبا كان ظامئا ، لقد سقاه

فى خفه ، لانه لم يجد وسيلة اخرى لرفع الماء الى فم الكلب من البئر غير خفه .

بل أن عقيدة الاسلام فى شمولها لمجالات الرحمة ، تجعل ممارسة الحلال فى هذا الاطار . يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« اذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

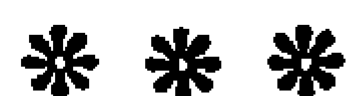
ولقد كانت العقيدة الاسلامية وهى تربط الانسان بهذا الكون فى تصور الربانية المهيمنة على الكون ، اسمى فى تشريعها للعدالة الاجتماعية ــ الاقتصادية ــ من كل تشريع بشرى جعل منها بابا للذل وسوطا للتعذيب ، وبريقا للسيطرة على الحكم .

ولقد فشل الاقتصاد البشرى بكل نظرياته فى تحقيق شىء من العدالة الاجتماعية لبنى البشر .

فها هى الراسمالية تطغى على قيمة الانسان ، فتحيله الى طاقة تخدم اغراضها المالية لجمع المال وكنزه ، وتجعل العرض والطلب قانونا للابتزاز والنهب والسلب .

وها هي الاشتراكية توزع الفقر على الشعب ، وتجمع الثروة كلها فى يد الحزب ورجال المخابرات ، « وشلل المنافقين » .

وما عيب امتنا العربية والاسلامية ، الا انها تأخذ بأحد الايدولوجيتين الفاسدتين ، وتترك اسلامها الحنيف !! .



خامسًا : التداول

معروف أن الانتاج ، ثم التوزيع ، يقترنان بالوجود الاجتماعى للانسان : فمتى وجد انسان فمن الضرورى ان يمارس نمطا ما من انماط الانتاج ، ليواصل حياته ويحافظ على معيشته . وعندما ينتج المجتمع لابد وان يوزع ما ينتجه على جميع افراده .

ولما كانت الحاجة ضرورة اجتماعية ، وكانت متنوعة ، وكان الانسان غير قادر على اشباع نفسه بجميع متطلباته ، فقد مارس نوعا من التبادل لسد حاجاته المتعددة .

ولقد كانت الاسرة القديمة تتغلب على صعوبة المبادلة أو التداول ، عن طريق توزيع الاعمال التى تغطى كل حاجاتها ، على جميع افراد الاسرة ، ثم تطور الامر حسب تطور حجم المجتمع ، وانتقل من التداول عن طريق المقايضة العينية ، الى التداول بالنقد ، **وصار فى الميزان الاقتصادى للتداول نوعان من التداول :**

الاول : التداول على أساس المقايضة .

الثانى : التداول على أساس النقد .

وللاسلام الحنيف رأى واضح فى هذين الاسلوبين من التداول :

(أ) فيما يتعلق بالمقايضة : فان عصرها يتسم بالهدوء والرخاء وتحديد الغاية الاقتصادية بالخدمة الاجتماعية . وقد حافظ الاسلام على اسلوب المقايضة من الغش والربا او الزيادة غير المشروعة فجعل المقايضة مشروطة بشرطين :ـ

الشرط الاول : ان يكون مثلا بمثل عندما يتحد النوع مثل : البر بالبر والشعير بالشعير ، والزبيب بالزبيب والحنطة بالحنطة .

الشرط الثانى : ان يتحد زمن المقايضة فيكون يداً بيد . بقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« البر بالبر ربا الا هاء وهاء ، والشعير بالشعير ربا الا هاء وهاء ، والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء » .
(رواه البخارى)

وروى البخارى : **ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى**

عن المزابنة . وهى : ان يبيع التمر بالتمر كيلا ، ويبيع الزبيب بالكرم كيلا .

وروى البخارى كذلك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تبيعوا الذهب بالذهب الا سواء بسواء ، والفضة بالفضة ، الا سواء بسواء . وبيعوا الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب كيف شئتم » .

* * *

(ب) واما فيما يتعلق بالنقد : فقد كان فى فقه الاقتصاد الغربى معمل تفريخ لشكلتين ، هما : ـــ

السعى وراء الاكثار من النقد ، مما ادى الى نهم فى جمع المال بغية اكتنازه ..

وثانى المشكلتين : تنمية المال عن طريق الفائدة فى البنوك وذلك مولد لشعور خبيث عند التجار والصناع والمستثمرين هو انهم لا يقدمون على مشروع تنمية استثمارية الا بعد تردد ودراسة للطمأنينة على مصادر الربح .. والربح الكثير .

أما الاسلام فقد حافظ على أن يكون التداول النقدى فى وضعه الطبيعى ، وليس سبيلا الى جمع المال واكتنازه ، وليس اسلوب تنمية الربا أو الغش أو الاحتيال . فشرع مجموعة مبادىء مالية للحفاظ على سلامة النقد ، كأسلوب للتداول الصحيح .

فحرم الاسلام الربا بشتى انواعه : النسيئة والفضل . وحرم الاسلام الغش بصوره المتعددة .

ولذلك حرم ان يبيع حاضر لباد ، وحرم تلقى الركبان ونهى عن التصرية وهى حبس اللبن فى الضرع اذا ارادوا بيع الماشية .

● وحرم الاسلام التحايل واكل اموال الناس بالباطل

● ونهى عن المنابذة : وهى بيع الثوب دون معرفة ما فيه من عيوب .

● ونهى عن الملامسة : وهى جعل لمس السلعة ، شرطا فى انتفاء خيار العيب .

● ونهى عن البخس : وهو التحايل على زيادة الثمن عن طريق مزايد لا رغبة له فى الشراء .

● واعطى لرئيس الدولة المسلم عن طـريق الرقابة الشعبية ، والمحتسب المسلم ، حق مراقبة تداول النقد فى الاسواق بين المسلمين ، وذلك ليحافظوا على التوازن الاجتماعى لكى لا يكون المال دولة بين الاغنياء فقط .

● كما حث على تيسير التداول فى الامور الضرورية للمعيشة ، والامور الاساسية للحرية . فحض القرآن الكريم على :

— تحرير الرقبة .

— والا يمنع المحتاجون الماعون .

وهكذا يتميز الاسلام بنظريته الاقتصادية عن النظـام الراسمالى والاشتراكى بهذه الاسس الانسانية الراقية .

ويخطىء كل من يصف الاسلام بأنه اشتراكى ، كمـا يخطىء كل من يصف الاسلام بأنه راسمالى ، فشتان ما بين وحى يوحى ، وفكر يتخبط .

انه دين الله الشامل الوافى الكافى لسعادة الانسـان

فى دنياه وفى آخرته فمن شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فذلك هو الاسلام الحنيف ..

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا »

(الاسراء) .

* * *

(أ) البطالة .

(ب) الانحرافات الاخلاقية .

(جـ) الانحرافات المالية .

●● ثانيا ــ الحــل

(أ) العمل ..

(ب) الاستقامة .

* الاستقامة الاخلاقية .

* الاستقامة فى الانفاق .

أولاً : المشكلة الاقتصادية

لاشك أن الاقتصاد له مشكلة يعترف بها كل اصحاب النظريات الاقتصادية ، غير ان كل مذهب اقتصادى له تفسير للمشكلة الاقتصادية ، تتبع الاسس الفلسفية التى يقوم عليها المذهب ، كما سلف توضيح ذلك .

والاسلام يعترف ان هناك مشكلة اقتصادية ، لكنهـا ليست فى الندرة ولا فى قلة الموارد الطبيعية كما يقول اصحاب نظرية الراسمالية ، ولا هى فى أن التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع كما تذهب الى ذلك الماركسية ، ذلك لان الله تبارك وتعالى هو الرزاق ذو القوة المتين ، وقد خلق الله الارض وقدر فيها اقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين .

بل أن نعم الله التى يمن بها على عباده انه خلق انـا معـايش ومن لسنا له برازقين ، وخصص لـكل نوع من المخلوقات طعامه :

يقول جل جلاله : **« وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم »**

(٣١ ــ ٣٢ عبس)

وقد اقسم الله تعالى على أن رزق العباد فى السماء **« وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض انه أحق مثل ما انكم تنطقون » .**

(٢٢ ــ ٢٣ الذاريات)

لكن المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام تكمن فى :

- البطالة .
- الانحرافات الاخلاقية .
- الانحرافات المالية .

(أ) **البطالة** : لقد حذر منها النبى صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« ما يزال الرجل يسال الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم » .**

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« على كل مسلم صدقة فقالوا : يا رسول الله فمن لم يجد ؟

فقال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا ، فان

لم يجد ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فان لم يجد ؟ قال : فليعمل بالمعروف ، وليمسك عن الشر فانها له صدقة .

* * *

٣ — الانحرافات الاخلاقية :

الاسلام نظام متكامل تتغذى كل مجالاته بعضها من بعض والمشكلة الاقتصادية تنشأ عن الفساد الخلقى ، لان الفساد الخلقى يضيع المال دون مقابل .

فشرب الخمر ، والحشيش ، والافيون ، والزنا ، والقمار ، والسهر ليلا فى صالات الرقص ، والملاهى الليلية ، والكباريهات . . الخ ضياع للمال دون عوض مقابل ، وضياع للوقت ، وضياع للصحة .

والمال ، الوقت والصحة كلها وسائل انتاج ، ليست فقط معطلة بل ذاهبة فى الهباء ، فكأنما الانحرافات الاخلاقية تلقى كمية من وسائل الانتاج فى مرض بحر الهوى ، كما تنفق كمية من الزمن فى دخان الشهوة .

وكل ذلك يعطل الانتاج ، ويقلل وظيفته الاساسية ، من كونه خدمة للمجتمع فى مجالات الخير والفضيلة ، وتحويله

الى نفقة على لذات خاصة ، فى فراغ ليس من ورائه نفع ولا فائدة .

ولقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من هذا العبث ففى الحديث الشريف : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه : **« كره قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال »** .

(رواه البخارى)

كما حذر من اتلاف المال بغير وجه حق فقال صلى الله عليه وسلم :

« من اخذ اموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله الا ان يكون معروفا بالصبر فيؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة كفعل أبى بكر حين تصدق بماله ، وكذلك آثر الانصار المهاجرين ونهى رسول الله عن اضاعة المال فليس له ان يضيع اموال الناس بعلة الصدقة » .

(رواه البخارى)

وينهى الاسلام الزوجة عن افساد مال زوجها ، لانه سبب من اسباب المشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« اذا انفقت المراة من طعام بيتها غير مفسدة ، كان لها

اجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا » .

(رواه البخارى)

ومن الانحرافات الاخلاقية قتل الاولاد خوف الفقر ، او لقيام الفقر بهم لان الأولاد ، طاقة عمل تحتاجها ميادين الانتاج وقلة الايدى العاملة تؤثر فى الانتاج كما وكيفا . وبالتالى تؤثر على وظيفة المال كخدمة لرخاء العيش للجماعة الاسلامية . ولهذا كله حرص الاسلام على أن يبرأ المجتمع الاسلامى من هذه الامراض الاجتماعية التى تفسد الاخلاق ، وبالتالى تفسد الاقتصاد ، وتفرخ المشكلة الاقتصادية .

ويقول الله تعالى :

« قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وأياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا

السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .
(١٥١ ـــ ١٥٣ الانعام)

ومع هذا التشريع الرطب للمشاعر ، المتقبل لدى الفطرة السليمة ، المرضى للعقل المنصف ، فان الله يكرر تحذيراته من ضياع المال فى الانحرافات ، ويرتب على الفساد الخلقى فساد الحياة كلها ، يقول جل لااله :

واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيهـــــا فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)) .
(١٦ الاسراء)

ويقول جل شأنه :

((وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون ، قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون ، ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين)) .
(٤٨ ـــ ٥١ النمل)

ولقد ضرب الله الأمثال فى القرآن الكريم ، على ان هلاك الأمم والافراد ، تابع للفساد الاخلاقى وليس هناك أشد فسادا خلقيا

من الكفر والفسق ، وقد كانت خاتمة أصحاب الجنة فى سورة القلم ، انها أصبحت كالصريم . لانهم غدوا على حرد قادرين فى زعمهم على منع الفقراء من حقهم المسنون .

***

(جـ) اما عن الانحرافات المادية :

فقد حرم الاسلام كل تصرف مالى يؤثر فى الدورة الاقتصادية .

● فحرم الاحتكار : ففى الحديث : ((**من احتكر فهو خاطىء**)) . مسلم وابو داود

((**من احتكر على المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالجذام والافلاس**)) . رواه : احمد وابن ماجه

● ((**من احتكر حكرة يريد ان يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله**)) .

رواه : احمد والحاكم حديث حسن

وحرم الغش : ففى الحديث : **« من غش فليس منى »**
اصحاب السنة

● وحرم الربا يقول الله تعالى : **« وأحل الله البيع وحرم الربا »** .

(٢٧٥ البقرة)

● وحرم السرقة يقول الله تعالى :

« والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » .

(٣٨ المائدة)

● وحرم الميسر : يقول الله تعالى :

« انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

(٩٠ المائدة)

● وحرم الغصب :

« ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام

لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » .

(١٨٠ البقرة)

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا » .

(٢٩ — ٣٠ النساء)

وفى البخارى عن حكيم بن حزام قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى ثم سألته فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم قال يا حكيم : **ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس ، بورك له فيه . ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى »** .

● وحرم الغل :

وهو أخذ المال من الانفال قبل القسمة « **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة »** .

(١٦١ آل عمران)

● وحرم الطمع :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب » .

● وحرم الاتلاف :

يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ، ومن اخذها يريد ان يتلفها ، اتلفه الله » .

***

تلك مجموعة من التشريعات التى تصور اسباب المشكلة الاقتصادية . انها فى البطالة واتلاف المال ، والانحرافات بشتى انماطها . وهى امور لم يفطن لها اصحاب المذاهب الاقتصادية بل انهم ليمارسون هذه الانحرافات وهم لا يشعرون . انها مفاسد تفرخ المشكلة الاقتصادية ، فالخمور والقمار ، والكابريهات والمسارح ، وصالات الرقص كلها

انظمة مستوردة من عالم اوربا وعالم الشيوعية والاشتراكية التى جعلت المسارح بديلاً عن المساجد وهى سلوكيات .

ما احوج الامة الاسلامية فى عصرها الحاضر ، وهى تملك اساسيات العمل الاقتصادى ، من ثروات متعـــددة المصادر والمنابع !؟ .. ما احوجها الى عودة مخلصة لنظامها الاسلامى ، فلعلها ان جربت سعدت ، وانه لمن العجب ، ان تفسح الامة العربية والاسلامية صدرها الوطنى والاقتصادى لنظريات غربية معربدة ، وشرقية فاشلة ، وتتلقى مآسى فى اقتصادياتها كل يوم ، ثم تستاهر متمسكة بما ادخلته فى بلادها من هذا الشر الوبيل ، ولم تفق لنداء الله **((ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون))**.

(٩٦ الأعراف)

***

ثانيا : الحل الاسلامي للمشكلة الاقتصادية

تتركز الحلول الاسلامية بشكل موضوعى ، التغلب على المشكلة الاقتصادية ، من مفهومها المشروع ســـابقا ، على دعامتين اثنتين فقط :

الدعامة الاولى : العمل

الدعامة الثانية : الاستقامة على شرع الله

(ا) اما العمل :

فقد حظى فى الاسلام بتوضيح شامل ، لان الاسلام ذاته منهج عملى ، ولان النبى صلى الله عليه وسلم فى كل حياته كان عمليا ، انه مع المجاهدين يحفر الخندق ، ومع الطهاة يجمع الحطب ، ويساعد أهل بيته ، وكان يخصف نعله بيده الشريفة وهو القائل : **« صاحب الشىء اولى بحمله »** .

والله تعالى يشهد على عمل المسلمين ، والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يشهد مع الله على عمل المسلمين ، وجماعة المؤمنين مع ربهم ورسولهم يشهدون عمل المسلمين ، فيما تتلوه آيات من سورة التوبة :

« وقــل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »

(١٠٥ التوبة)

والعمل فى التصور الاسلامى ، يشمل الاودية والبحار والانهار والزرع والضرع . فقد عرف المسلمون ان الله سخر له هذا الكون ، كما دعاه الله الى السير فى جنبات الارض ، سعيا على رزقه يقول الله تعالى :

« وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » .

(١٥ الملك)

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« لان ياخذ احدكم حبله على ظهره فيحتطب خير له من أن يسال الناس اعطوه او منعوه » « ...عليه »

ودعا الى الجدية فى العمل ، والحسن فى الاداء . فيقول صلى الله عليه وسلم :

« ان الله يحب احدكم اذا عمل عملا ان يتقنه » . . .

« والقرآن الكريم يحتضن آيات جمة تصور صلة العمل فى الدنيا بمركز الفرد المسلم يوم القيامة ، يقول الله تعالى :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

« ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره » .

(١٣ — ١٥ القيامة)

ويحذر القرآن الكريم من سوء العاقبة للعمل الفاسد :

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس وليذيقهم بعض ما عملوا لعلهم يرجعون » .

(٤١ — الروم)

وقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم السعى على المعيشة من أسباب تكفير الذنوب فيقول :

« أن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصوم

ولا الحج ولا العمرة . يكفرها الهموم فى طلب المعيشة » .

أبو نعيم فى الحلية

***

(ب) وأما الاستقامة :

فهى استقامة الاغنياء ، واستقامة الفقراء أخلاقيا ، وماديا ، ونفسيا ووجدانيا . وأساس الاستقامة عند الاغنياء أن يتمسكوا بما شرعه الله فى الاموال ، من حقوق للفقراء والمساكين وابن السبيل ، وفى سبيل الله .. الخ لا يغمطوهم حقا ، ولا يستذلوهم بحق ، فان الاخوة الاسلامية ، والولاية فى المجتمع الاسلامى ، تربط بين المسلمين برباط واحد فى تحقيق كمال العبودية لله . واذا ادرك الاغنياء ، ان الغنى ليس بكثرة العرض ، بل بكثرة القناعة والرضا ، طابت نفوسهم بما اعطاهم الله ، ورضيت نفوسهم بالبذل لاصحاب الحاجة والفقراء كذلك اذا ادركوا أن هذه الحياة قسمها الله من الازل وأنه لاراد لما اعطى الله ، ولا معطى لما منع الله ، طابت نفوسهم بما يبذل لهم من حق هو لهم فى مال الاغنياء ، وعملوا على ازالة فقرهم بجد فى الكد والكدح ، والجهاد ، « **فمن بات كالا من عمل يده بات مغفورا له** » .

والقضية الاساسية فى الاستقامة ، ان الحياة الدنيا

لا تسير دواليبها الا بالتنظيم الذى ابدعه الله وسيرها عليه يقول الله تعالى :

« اهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون ، زخرفا وان كان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » .

(٣٢ — ٥٥ الزخرف)

ان هذا التقسيم الالهى يجب ان يحترم من المسلمين ، وان الخروج عليه افساد يدفع اليه الجهل بميزان التوزيع الالهى . فليست نظريات الاقتصاد هى التى توزع ، وليست الحكومات شرقية أو غربية هى التى توزع فكلها تصاب بالعجز فى الانتاج ، وقد استمر العجز فى انتاج الغذاء فى روسيا الشيوعية حتى راحت تستجدى امريكا بعمل اتفاقات شراء قمح لتغطية العجز الزراعى ، وذلك لعلة تخفى على كل الاقتصاديين وهى أن التوزيع الهى ، فيقول الله تعالى :

« له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم » .

(١٢ ــ الشورى)

وصدر الآية بليل على التقسيم ، فالله هو صاحب مقاليد السموات والارض ، انه جل جلاله هو الذى يبرم الامر فيهما ، وهو جل جلاله الذى قدر الاقوات فى الارض ، وهو جل جلاله الذى جعل رزق العباد فى السموات . وهو جل جلاله الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده . وهو جل جلاله الذى يقدر الرزق على من يشاء من عباده لعلة وحكمة هي : **« ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ، ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير » .**

(٢٧ ــ الشورى)

فمن الذى يقدر من البشر : اقتصاديين .. أو سياسيين أو عسكريين .. من الذى يستطيع ان يغير هذا التوزيع الاعلى ؟ .

● وهل استطاع الشيوعيون تغييره ؟ لقد عجزوا وفشلوا ويكفى سوء حالة العالم الشيوعى فى اقتصاده ومجتمعه وأسره وافراده وهم البائسون ، المطحونون الأذلاء للآلة ولاسيادهم اعضاء الحزب الحاكم .

● وهل استطاع الراسماليون تغييره ؟ فما بال الملايين الجائعة والملايين من أطنان القمح تطرح فى المحيط لحماية السعر ولاخضاع الامم للاستعمار الاقتصادى الحديث ! ؟

● أما الاسلام فقد جعل الايمان اساسا لحل كل مشكلة وأساسا للتوزيع .

يقول الله تعالى :

« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا » .

(١٠ ــ ١٢ نوح)

وتأتى رحمات الله فى الضيق ، لمن تاب اليه واستمسك بوحيه ، وعمل بشرعه ، يقول الله تعالى :

« وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » .

(٢٨ ــ الشورى)

فالاستقامة هى :

الا يتخذ الاغنياء من أموالهم سبيلا الى ارتكاب المعاصى واذلال الشعوب . والا يحسد الفقراء الاغنياء على ما منحهم الله من فضله .

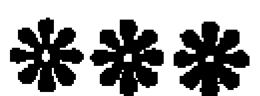
ولم تقع الامة العربية والاسلامية فريسة الثــورات العسكرية التى قامت تدعى انها جاءت للعدالة الاجتمــاعية فصادرت الاموال والحريات من اجل هذه الدعوة .. لم تقع الامة فريسة لهذه الثورات الا لانها جعلت شرع الله خلف ظهرها وارتمت فى احضان النظام الاوربى ، فصارت بيوتهم كبيوت اوربا لغة وسلوكا .. فتحدثوا الاوربية وشربوا الخمر ، وحولوا بيوتهم الى مراقص ، ونظروا الى الفقراء نظرة العبيد الارقاء ..

واذا كانت القاعدة : ما من ظالم الا ويبلى بظالم ، فقد ظلم اولئك القوم انفسهم بخروجهم على شرع الله ، فابتلاهم الله بظالم صادر أموالهم ، ويعصف بحرياتهم .. فما زادت الثورات العسكرية عالمنا العربى والاسلامى ، الا سجنا على سجن ، وذلا على ذل ، وفقرا على فقر .. وصدق الله العلى العظيم :

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال : رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

(١٢٤ ــ ١٢٧ طه)

فهم الى عودة من سبيل ؟؟ !!



نتائج لامبرّرلها

(أ) التبعية للايديولوجيات الاقتصادية
كحلول للمشكلة الاقتصادية

(ب) تحديد النسل كعامل مساعد
فى حل المشكلة الاقتصادية المتوهمة

(أ) التبعية للايديولوجيات الاقتصادية كحل للمشكلة الاقتصادية :

كل النظرات الاقتصادية تحاول ان تقدم لشعبها خدمة بقدر ما يرى علماء النظرية مقدار هذه المصلحة لبلادهم .

● فالتجاريون حين زعموا أنهم فسروا كمية الثروة لدى كل أمة ، بالمقدار الذى تملكه من النقد ، استخدموا هذه الفكرة لتنشيط التجارة الخارجية بوصفها الاداة الوحيدة لجلب النقد الاجنبى ، وذلك من اجل خدمة اقتصاد بلادهم ، ورفاهية شعبهم . ولذلك نراهم يضعون معالم سياسة اقتصادية تؤدى الى زيادة قيمة البضائع المصدرة على قيمة البضائع المستوردة من اجل تحقيق عمل تجارى يزيد فى جلب النقد الاجنبى الى البلاد .

● والطبيعيون من بعدهم ، يفسرون الثروة بأنها الانتاج الزراعى وحده ، وانه هو الذى يكفل تنمية الثروة دون التجارة والصناعة . وايضا كان ذلك خدمة لبلادهم ،من اجل ازدهار الزراعة وتقدمها ، لانها فى نظرهم قوام التجارة والصناعة .

● ولما راى الغربيون ان محاولاتهم كلها لم تحقق الامل المنشود ، ورأوا أن الشرق العربى والاسلامى ، هو خزانة المال ومصدر الثروت ، طلعوا علينا بنظرية « مالتس » التى تزعم أن : نمو البشر أسرع من نمو الانتاج الزراعى ، وذلك يؤدى حتما — حسب زعمه — الى مجاعة هائلة فى مستقبل الانسانية ، وذلك بسبب زيادة الناس على الموارد الغذائية .
ووجود الحل الذى يريح البشرية من هذه الفجيعة ، هو تحديد النسل وتلقف الاقتصاديون فى البلدان العربية والاسلامية نظرية « مالتس » وروجوها ، وزج علماء الاجتماع بأبحاثهم فى الميدان ثم زج السياسيون بسطوتهم ، فرض تحديد النسل كعمل قومى وراحت البلاد التى تعانى من قلة الايدى العاملة ، تنادى كذلك لتحديد النسل ، واعتبروا ذلك حلا .

ثم دس الاشتراكيون انوفهم المزكومة فى ميدان الاقتصاد رغم انهم فاشلون فيه زراعيا وصناعيا . وزعموا انهم كشفوا القوانين الطبيعية التى تتحكم فى التاريخ ، وقالوا بحتمية الصراع بين الطبقات ، وحكم البوليتاريا . ومن العجيب ان صـــاحب النظرية كان يعيش فى انجلترا عام ١٨٤٨ م ابان حملة العمال الانجليز وثورتهم من اجل الاجور ، واستطاعت الحــكومة البريطانية حل الازمة عن طريق التشريع ، وانتهت ثورة العمال الى الابد ، ولم تتحول بريطانيا الى دولة شيوعية ، رغم ان ماركس كان يكتب ورقاته ابان ثورة العمـــال فى انجلترا ، وشاهد حلها . لكنه كان « دجماسيا » فاسد المزاج ، ديكتارى

الراى . فلم يعبأ بما حدث ، واستمر يكتب الورقات . وها هو التاريخ يقرعه فى قبره فى لندن : ان العمـــال فى انجلترا لم يحولوا بريطانيا الى دولة شيوعية كما كان يحلم صـــــاحب السخيمة الاحمق .

ومع هذا ، يجنح حكماء العرب الى موسكو ، ظنا منهم ان كعبة المال السخى والمدد الممدود سوف تغرقهم فى نعيم الاشتراكية . . ومع الحفاء الذى تعانيه الشعوب الاشتراكية ، والمرض والجهل ، ومع الظلم والبغى ، فما زالت حفنة منهم تظن ان الحل البديل . هو فى النظام الاشتراكى !! ؟؟

وان النتائج المذهلة التى ترتبت على اقتصاد فاشـــل فى الغرب وفى الشرق الشيوعى ، قد جعلها قومنا محاور للاصلاح الاجتماعى والاقتصادى .

(أ) فالاشتراكية الفاشلة ، فى نظر بعض حكام الامـــة العربية والاسلامية ، هى عندهم طريق الاصلاح الاقتصادى ! ؟

ولقد جربت الشيوعية وكان من حصيلة تجربتها : —

(أ) مصانع متخلفة لا تصلح للعمل .

(ب) عمالة كاسدة ، لفشل المصانع فى تحقيق أرباح ، لرداءة منتجاتها وعدم قدرتها على سد الديون .

(جـ) دين باهظ يتراكم ، نتيجة تخلف المصانع ، وسوء ادارة الانتاج ، وفساد التوزيع .

(د) بيوقراطية كسيحة جعلت الصناعة قزما .

(هـ) تعطيل طاقات العمل الزراعى ، بتحويل عمـــال الزراعة الى المصانع ، لا من أجل الانتاج ، بل من اجل ايجاد جناح عمالى ، يستخدم فى المظاهرات والمضاربات السياسية .

فاذا اضيف الى هذا ما جرته الشيوعية على بلادنا من :

(أ) المعتقلات التى مازال اثرها الى اليوم فى نفوس شبابنا خوفا ورعبا وعدم ثقة فى كثير من حياتنا المعاصرة .

(ب) تجميد الطاقات البناءة المتحررة ، فى نفوس المحبين للعمل الاقتصادى .

(جـ) ارهاب راس المال الاجنبى من دخول البلاد ، خوفا من المصادرة والتاميم والحراسة .

(د) زعزعة الثقة فى نظام الحكم ، واشاعة سقوطه لارجاف النقد الاجنبى من دخول البلاد ، لتظل البلاد فقيرة ، ليفرخ فيها الوباء الاشتراكى . فان الاشتراكية لا تعيش الا وسط اكوام المرض والفقر والجهل والرذيلة .

ولهذا فان الجنوح الى الاديولوجية الاشتراكية خطأ دينى اولا ، ووطنى ثانيا لانها نظرية فاشلة لم تستطع أن تنجح مع ما يحرسها من السلاح المدجج والسلطان المستبد .

(ب) تحديد النسل كعامل مساعد احل المشكلة الاقتصادية المتوهمة :

وتحديد النسل كنتيجة لابحاث اوربية دعا اليها ريكاردو لمعالجة قضايا العمال كان يراعى فيها :

● ضيق الارض فى البلاد الاوربية .

يضاف الى ذلك : ـــ

● ضيق التدين ، فليس لديهم دين يعطيهم مفهوما كاملا عن الكون والرزق وقدرة الله .

● والتطلع الاستعمارى لبلاد العرب والمسلمين لكثرة

خيراتها ، ولن يمكنهم ذلك الا اذا ضعفت فى العرب والمسلمين القدرات العقلية الفياضة ، وذلك يتأتى عن طريق تحديد النســـل .

وتحديد النسل خرافة لان الله جل جلاله هو الكبير المتعال هو الفعال لما يريد ، وان الله بالغ أمره . فأية قوة تستطيع أن تحدد ما قرر خلقه ، او تقف دون ارادته ، او تناوىء قدرته ؟؟ كلا والف كلا .

ولست اريد ان اعرج على ادلة الدين (١) فى هذه القضية بل سأعرج على افتراض عقلى صرف ، وهو لو فرضنا ان الله اراد ان يوجد فى عام ١٩٨٠ مليون نسمة فى مجتمع معين ، واراد اهل هذا المجتمع ان يحددوا النسل ، فعقموا ثلاثة ارباع النساء فيه ، أفلا يمكن ان يوجد الله هذا المليون من بقية النساء .. ؟؟

ولقد فشلت جميع وسائل تحـــديد النسل الا وسيلة واحدة ، هى العقم فهل تستطيع الحكومات ان تغامر بهـــذه المخاطرة .. ؟؟

---

(١) يراجع فتح البارى ج ٩ ص ٣٠٥ / ٣١٠
وكتاب احياء علوم الدين ج ٢ ص ٥١ / ٥٢
وكتابنا استوصوا بالنساء خيرا ص ١٢٠ / ١٤٣

ان تجربة الاشتراكية فى العالم العربى والاسلامى ، تشير الى خطأ ممارسة اتباع هذه الايديولوجية .

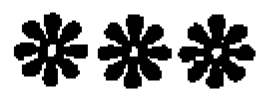
وان الدعوة الى تحـديد النسل تبعية الى اديولوجية اقتصاد غربى فاسد فاشل . وكلاهما فاسد وكلاهما خاسر لان الله تبارك وتعالى حكم منذ الازل .

(ان الله لا يصلح عمل المفسدين) .

فهل من توبة نصوح ، عسى ربنا أن يرحمنا ويرزقنا ، من حيث لا نحتسب ، فان قوله صدق

((ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا)) .

(٢ ــ ٣ الطلاق)



الخـــاتـــمـة

اولا : الامكانات العربية فى ..
مواجهة التحـــــدى الخـــارجى

ثانيا : اخلاقيات المسلم اقتصاديا ..

أولا : إمكانات الأمة العربية

تقع الامة العربية فى منطقة استراتيجية هامة ، فهى مركز الاتصال بين القارات ، وهى كذلك مصدر تمويل للعالم بكثير من المواد الاولية التى تقوم عليها الحياة الصناعية ، بل والاجتماعية ، فى أوربا واليابان وأمريكا .

لقد كانت الامة العربية فى بدء القرن العشرين فقيرة ، وكانت ممزقة للسطو الاستعمارى عليها .

واليوم وقد اظهر الله ثراءها الباهظ فى الموارد الطبيعية وفى النقد الحر ، وفى القوة البشرية وفى العلم والبحوث .

● ففى الامة العربية مساحات بالملايين لما تزرع حتى الآن ..

وفى السودان وحده ٢٠٠ مليون فدان صالحة للزراعة وتحفها المياه من النيلين الازرق والابيض .

● وفى العراق وسوريا حوالى ٣٠ مليونا وهذه امكانات معطلة ، تحتاج الى وحدة فى الضمير تجمع شتات الامة العربية بنية خالصة لاستثمار هذه المساحات لتغطية حاجات العالم العربى الاسلامى من الغذاء .

فالمعركة المعاصرة ليست معركة سلاح بقدر ما هى معركة تجويع .

● وفى الامة العربية طاقات هائلة من البترول والغاز الطبيعى . والمعادن الاخرى :

ففى الجزائر : معادن الرصاص ، والزئبق ، والنحاس والحديد والفوسفات وبها ١٠٪ من الغاز الطبيعى الى يغطى احتياجات العالم .

وفى دولة الامارات العربية المتحدة : بترول يستخرج يوميا من حقوله ٢ مليون برميل .

وفى الكويت : بترول يقدر بمائة مليون طن سنويا بالاضافة الى المعادن الكيماوية .

وفى ليبيا : يقدر البترول المستخرج من الحقول سنويا بألف مليون برميل .

وفى المغرب : معادن الزنك ، والحديد والفوسفات ، والمنجنيز ، والفضة ، والفحم وهى مصدر طبيعى للاسماك

وفى قطر : يقدر انتاج البترول سنويا بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار بالاضافة الى الحديد ، والغاز الطبيعى ، وبعض المحاصيل الزراعية .

وفى السعودية : الرخام ، والنحاس ، والحديد ، والاسمنت وبلغ دخلها من البترول عام ١٩٧٤ م ٤١٧ بليون دولار .

وفى مصر : الغاز الطبيعى ، والبترول ، والزراعة ، وقناة السويس المحاصيل الزراعية . و

الامكانات الاستراتيجية :

يضاف الى هذه الامكانات امكانات استراتيجية . فالامة العربية هى صاحبة البحر الاحمر ، وهى المتحكمة فى مضايق البحر الابيض المتوسط والخليج العربى . فما الذى يجعل الامة العربية عضوا فى دول العالم النامى ؟؟

ارايت لو ان هذه الامكانات مع اسرائيل ماذا كانت تفعل ؟

ان العالم العربى ، يسأل يوم القيامة عن ضياع أرضه وأمته ، وعن فقر شعوبه .. لان الله :

- اختار له الاسلام دينا وهو منهج حياة عليا .
- واختار له الموقع الاستراتيجى الهام .
- واعطاه من الامكانات مالا معذرة معها .
- وجعل فيه من القوة البشرية ، ما يكفى لاقـامة حضارة رائعة في السياسة والعسكرية والرخاء ، والعلم والامن الدولى .

فلم يذهب العرب الى روسيا او الى أمريكا او الى أوربا .. ؟ ؟

ان العرب سيسألون يوم القيامة عن كل هذه النعم ، وعن رسالتهم فى الحياة . فبماذا يجيبون ؟؟

الا هل بلغت اللهم فاشهد

***

ثانيا . اخلاقيات المسلم اقتصاديا

.. .. .. وبعد : نقول :

ان : الاخلاقيات الاقتصادية فى نظر الاسلام ، هى غايتنا من هذا البحث ، ليتعرف المسلمون على اسلوب الحياة الاسلامية التى يريدها القرآن الكريم ، وذلك لان الحياة فى اى مجتمع تقوم على أساس تبادل المنافع بين الناس فيه ، لان القاعدة التى تنبع من ظاهرة التحرك اليومى للعلاقات الانسانية فى المجتمع هى : (ان الانسان لا يمكن أن يعيش وحده) .

والتبادل للمنافع فى نظر الاسلام ، لا يمكن ان يخضع للمنفعة فقط من حيث هى منفعة ، لانها قد ترتبط بالمعصية ، ومن الوانها سلوك القائلين بأن : الغاية تبرر الوسيلة ..

وقد ترتبط بالانانية ، ومن الوانها ايثار الذات على مصلحة الجماعة .. قد تجر كثيرا من المفاسد ، اذا كانت المنفعة هى الحيثية التى يتبادل الناس على أساسها مصالحهم فى علاقاتهم الاجتماعية ، فتبتعد الانسانية بذلك كثيرا عن مميزات كرامتها .

ولذا فان تبادل المنافع فى نظر الاسلام يرتبط طردا وعكسا بالقانون الاسلامى ، الذى يعتبر النية اساسا فى تقبل الاعمال الصالحة عند الله ، والذى حدد الوانا من التعامل ، كسلوك مرغوب فيه ، وحرم اشياء كممنوعات يعاقب كل من انتحاها فى سلوكه .

القانون الاسلامى قانون سلوك ، لا قانون عقوبات ، فهو يرسم للفرد وللجماعة كل خطوة فى الحياة ، ويترك التنفيذ لوازع الدين فى نفس كل مسلم : **((اعبد الله كانك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك))** .

انه لا يركن الى رهبة المجتمع من الحاكم ، انما يركن الى حب الله ورسوله وجماعة المؤمنين : **((لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما))** .

((انما المؤمنون اخوة)) .

اما القانون الوضعى ، فهو صورة ارهاب ، لانه لا يتحدث الا عن المخالفات ، ولا يضع فى اعتباره انه سلوك ، ولا توبة فيه ، ولا عفو عنده للجاهل .

ولهذ فان القانون الاسلامى يعتبر الاخلاق عنصرا اساسيا عند التشريع :

« بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » ، « ادرؤوا الحدود بالشبهات »

اما القانون الوضعى ، فانه يأخذ بالشبهة . واكثر ما يدعيه انه لحماية الاخلاق ، ولكن الذى سنه فى هذا الصدد هو عقوبات للمنحرفين .

واذا سلطنا الضوء على الجانب التجــارى « البيع والشراء » ، وجدنا ان القانون الاسلامى يحدد عدة قضايا منهــا :

الاولى : السعى الى طلب الرزق :

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« باكروا طلب الرزق فان الغدو بركة ونجاح »

ويقول :

« اذا صليتم الصبح فلا تناموا عن طلب ارزاقكم ، فان نوم الصبح يمنع الرزق » .

وقد اتخذت هذه القاعدة الى التنفيذ ، اجل طريق فيما يرويه سيدنا انس رضى الله عنه : « ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة رضى الله عنها ، بعد صلاة الصبح ،

فوجدها مضطجعة فحركها ، ثم قال : **يا بنية قومى فاشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين ، فان الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس »** .

ويوجهنا النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا فى دعائه لنا : « **اللهم بارك لامتى فى البكور** » .

الثانية : ان التجارة خدمة اجتماعية للمجتمع الاسلامى ، وليست وظيفة مالية مهمتها نماء الثروة الاقتصادية فحسب . يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما » .

فليست التجارة فى نظر الاسلام ، وظيفة مالية بالدرجة الاولى . وانما هى خدمة اجتماعية لمصالح المجتمع الاسلامى بالدرجة الاولى والاولية .

وعلى هذا تنبنى عدة اخلاقيات :

الاولى : انه لاغش :

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : **« من غش فليس منى »**

ويقول : **« من غشنا فليس منا ، والمكر والخداع فى النار »** .

« من باع شيئا فيه عيب لم يبينه لم يزل فى مقت الله ، ولم تزل الملائكة تلعنه » .

فأى مغامر هذا الذى عنده من الجرأة ما يجابه رب العزة ، مقسم الارزاق ومالك الملك ؟

ومن ذا الذى يستطيع ان يتحمل مقت الله ويطيق لعنة الملائكة ؟ . تلك صورة النفس التى يتاجر صاحبها فى غضب الله على المسلمين بالغش والخديعة ، والنبى صلى الله عليه وسلم يعظ معاشر التجار فيقول :

« التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبر وصدق »

فيرسم النبى صلى الله عليه وسلم بطريق هز المشاعر فيهم ، وبعث حرصهم على مستقبلهم يوم القيامة ، امثل الطرق التى تؤدى بها التجارة وظيفتها كخـــدمة اجتماعية للمجتمع المسلم .

ويحدد النبى صلى الله عليه وسلم اسلوب التعامل فى البيع والاعلان فيقول :

« ان صدق البيعان ، وبينا ، بورك لهما فى بيعهما وان كتما وكذبا فعسى ان يربحا ربحا ما ، ويمحق بركة بيعهما » .

وقدم النبى صلى الله عليه وسلم على رجل يبيع طعاما ، فأدخل يده فيه ، فاذا هو مبلول ، فقال : **« من غشنا فليس منا »** .

وقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يتعوذ من التاجر فيقول : **« اللهم لا تطع فينا تاجرا ، فان التاجر يحب الغـلاء »** .

الثانية انه لا احتكار :

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : **« لا يحتكر الا خاطىء »**

ويقول : **« من احتكر على المسلمين طعامهم ، ضربه الله بالجذام والافلاس »** .

ويقول : **« من دخل فى شىء من اسعار المسلمين ليغليه عليهم ، كان حقا على الله ان يقعده بمعظم من النار »** .

الثالثة : انه لا حلف .. من اجل ترويج السلعة .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم « **الحلف منفعة السلعة ممحقة للبركة** » ولم تبلغ التجارة فى مجتمعنا الاسلامى المعاصر مستواها المعهود اليوم ، الا لانها تخلصت من ربقة النظـام الاسلامى وتجافت مع اخلاقياته :

انه لا غش

انه لا احتكار .

انه لا حلف .

ومن جلال ما يشرعه الاسلام كسلوك اخلاقى بين البائع والمشترى :

١ ـ السـماح :

يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« رحم الله رجلا سمحا ، اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى » .

ويرسم النبى صلى الله عليه وسلم صورة رائعة للمتسامحين المتساهلين فى تبادل منافعهم بالبيع والشراء فيقول :

((ألا اخبركم بمن حرم على النار وتحرم عليه النار ؟ كل قريب هين)) .

سهل اذا باع ، سهل اذا اشترى ، سهل اذا اقتضى ، يقول الله تعالى يوم القيامة له : انا حق بذلك منك ، سامحوا عبدى ، وتجاوزوا عنه كما كان يسامح فى دار الدنيا)) .

٢ ـــ الوزن بالقسط :

يقول الله تعالى : **((اقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان))** . وقد هدد الله المطففين فى الكيل :

((ويل للمطففين : الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم)) .

٣ ـــ تحريم الربا :

يقول الله تعالى :

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

ويقول :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا »

ان الربا يصور جريمة بشعة فى نظر الاخلاق التى يحرص الاسلام على نقائها وتنقيتها . ولهذا فالربا هو الذنب الوحيد الذى لم يقترن بالتوبة مثل سائر الذنوب ، بل على العكس فقد اقترن الربا بالتهديد والوعيد بالحرب من الله ورســوله **« فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله رسوله »** . ولهذه العلة ذاتها وضعت آية تحريم الربا فى سورة آل عمران ، وسط مجموعة الآيات العسكرية التى تصور معركتى بدر وأحد ، ايذانا بأن الربا خلقية انحرافية ، لا يشفى منها المجتمع ، الا بمثل هذا الاسلوب .

اسلوب الحرب الذى توسطته آية : **« يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة » .**

واسلوب الحرب الذى توعد الله به آكل الربا **« فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله » .**

ان التجارة وظيفة اجتماعية من ثلاث نواحى :

الاولى : انها خدمة المجتمع فى تيسير الحاجات وقضاء المصالح وتسهيل تبادل المنافع بين الناس .

الثانية : انها نبض للدورة الاقتصادية ولذلك حارب الاسلام كنز المال لانه معطل لها يقول الله تعالى :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

الثالثة : انها رفد للزكاة يخرج منها قدر محدود بالقانون الاسلامى لتحقيق جانب من الرعاية الاجتماعية التى ينفذها المجتمع الاسلامى ، حسبة وعبادة ورعاية لحقوق الله واخوانه المسلمين فى المجتمع .

هذه النواحى الثلاث ، مضاف اليها جانب الفرد نفسه . « جانب التاجر » ، فانها تدر عليه ربحا — وهو حلال ، اذا استعمل المنهج الاسلامى واخلاقياته فى البيع والشراء — فتكفيه

مؤنة العيش ، وتدفع عنه مذلة الحاجة ، بل انها تقوية على اداء حقوق اسرته ..

وقد شرف الله تعالى التجارة فكانت عمل ثلة من الانبياء الاكرمين . ومشهور ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتاجر للسيدة خديجة أم المؤمنين الاولى رضى الله تعالى عنها ، وقد كان الربح الذى در عليه من عند الله واحد من ارهاصات النبوة كما هو محفوظ فى كتب التاريخ والسيرة .

ولهذا فان التشريع التجارى فى الاسلام ، بالاضافة الى انه وحى من عند الله فقد صدر عن اخصائى كبير ، وخبير امين ، مارس التجارة ، وخبير ادرك التجارة ، وعرف سيكلوجية المشترى .

وقد نخر التشريع الاسلامى بعدة قضايا ، هى حصيلة خبرة زائدة ، وقمة تشريع معصوم .

الاولى : احل الله البيع وحرم الربا .

الثانية : لا محاقلة « بيع الزرع فى سنبلة »

الثالثة : لا مخاصرة « بيع الثمار والحبوب ، قبل ان يبدو صلاحها » .

الرابعة : لا ملامسة « ان يقول البائع للمشترى ، اذا لمست الشىء فقد اشتريته دون خيار » .

الخامسة : لا منابذة « جعل طرح الشىء ونبذه بيعا » .

السادسة : لا مزابنة « بيع الرطب بالتمر ، وبيع العنب بالزبيب » .

السابعة : لا تتلقوا الركبان : وهو عبارة عن : مقاطعة طريق التجار قبل التعرف على سعر السوق .

الثامنة : لا يبيع حاضر لباد « لا سمسرة » .

التاسعة : لا يبيع الرجل على بيع اخيه .

تلك هى موازين البيع والشراء كسلوك سوى فى العمل التجارى الحلال . وهى تتضمن :

الحفاظ : على تبادل المنافع التى يحتاج اليها المجتمع على مستوى فاضل ، يحقق الاخلاق الفاضلة وهى فى ادق مفهومها عند المسلم انها عبادة الله بامتثال هذا القانون .

والحفاظ .. على استمرار الدورة الاقتصادية ، دون شره أو طمع أو غش ، ودون تضخم فى الميزان التجارى ، ودون ارهاق بأسلوب العرض والطلب للقوة الشرائية .

والحفاظ .. على جانب من حصيلة الرعاية الاجتماعية ـ الزكاة التى يقدمها المجتمع عن طيب خاطر وقاية للضعفاء وابتغاء مرضاة الله .

فهل هناك بعد هذا من تشريع ؟؟ .

فمن أصدق من الله حديثا ؟؟ .

فهل يفيق المسلمون ؟؟.

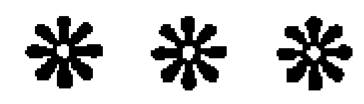
ومتى ؟؟ ..

لعلهم يستيقظون ان شاء الله .

***

محتويات الكتاب

الموضـــــــوع	الصفحة



رقم الايداع بدار الكتب : ١٩٨١/٧٣٩٤

الترقيم الدولى : ١٢ — ٩٤ — ٧٣٢٨ — ٩٧٧

هـذه الرسالة

عناصر المشكلة الاقتصادية عند الوضعيين تختلف عنها فى الإسلام

فهى عند الرأسماليين : الحاجة .. والموارد .. والمواءمة .

وعند الشيوعيين والاشتراكيين هى : مشكلة التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع .

أما فى الإسلام فهى : البطالـــة .. والانحرافـــات الأخلاقية .. والانحرافات المالية .

والفشل فى حل مشكلتنا الاقتصادية يرجع إلى أننا نعتمد على التبعية للايديولوجيات الاقتصادية الوافدة .. كما نعتمد على تحديد النسل كعامل مساعد !!



